النظام الفكري التربوي والدعوي للإسماعيلية في اليمن

د.أحمد أحمد الآنسي
أستاذ أصول التربية المشارك
رئيس قسم أصول التربية - كلية التربية - جامعة صنعاء
02802alansy@gmail.com

الملخص

هدف البحث إلى الوقوف على النظام الفكري التربوي والدعوي الذي حددته الدعوة الاسماعيلية ودعاتها،وهو نظام يقوم على تحديد المعتقدات والمبادئ التي تقوم عليها الدعوة،وتحديد الشروط والمواصفات المطلوبة في المدعويين،وتحديد الأساليب التي يسير الدعاة على أساسها في تنفيذ المهام والواجبات المناطة بهم.ولتحقيق هذا الهف استخدم الباحث المنهج التاريخي للحصول على المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث من المصادر والمراجع،وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج أبرزها:تأثير العوامل السياسية والجغرافية والمذهبية في انتشار الاسماعيلية في اليمن،واعتماد الاسماعيلية على نظام فكري قائم على تخطيط دقيق ومحكم في كل ماله صلة بالدعوة ساهم في نجاحها ونشر أفكارها،وأن الشروط الأساسية في المستجيب تمثلت في الإيمان بالمبادئ والمعتقدات الاسماعيلية ،وفي الطاعة الكاملة ،والانقياد التام للداعي والتسليم لكل ما يقوله الإمام أو من يقوم مقامه.

6

A research summary entitled: Intellectual system of educational and the preaching of the Ismaili sect in Yemen.

Prepared by: Dr. Ahmed Ahmed Ali Al-Anesi

The research aims to: Stand on the intellectual system for preaching and education defined by the Ismaili sect for their vocation and their preachers, and the educational system defined by the Ismaili for its vocation and its preachers. Furthermore, it is a system based on identifying the beliefs and principles which the preaching stands on, and also determining the conditions and specifications required in the people who are being preached. As well as identifying the methods that preaching goes on, especially on which the implementation of the tasks and duties are assigned to them.

For this aim: The researcher used the historical approach to obtain the scientific information related to the research topics from the sources and references, the researcher concluded to a number of outcomes including:

- The impact of political, geographical and ideological factors on the spreading of Ismailia in Yemen. For that, the Ismailis relied on a careful planning based on an ideological system, and it governs everything that is related to preaching, which contributes in the success of the preaching and spreading its ideas.
- And the basic conditions in the respondent are represented in believing the Ismailis principles and beliefs, and in the total obedience and docile to the preacher, also to accept everything the Imam say or who represents him.

مقدمة:

من الأساليب التي يتم في ضوئها دراسة تاريخ التربية والتعليم الوقوف على مجمل النظام التعليمي، أو على قضية أو مشكلة منه في إطار العوامل المختلفة التي لها تأثير في تقدم أو تأخر وتطور أو تدهور التعليم والحركة العلمية بشكل عام، وهذا النوع من الدراسة يحقق أهدافا عدة منها: خدمة العلم أولا، وخدمة الباحثين الراغبين في معرفة جوانب الاتفاق والاختلاف بين العصور التاريخية في قضايا التعليم، أو الوقوف على جذور المشكلات التعليمية التي يعاني منها المجتمع في الوقت الحاضر بهدف إيجاد حلول لها، وغير ذلك من أهداف، والعودة للماضي هو من أجل وضع الحلول للمشكلات الحاضرة ومن أجل استشراف المستقبل، علاوة على الفوائد العلمية والنفعية والحضارية التي تثمرها الدراسات العلمية ذات البعد التاريخي.

وتأتي هذه الدراسة لتركز على جوانب فكرية دعوية وتربوية لإحدى الفرق الشيعية التي ظهرت في فترة تاريخية معينة وانتشرت في بعض البلدان الإسلامية وكان لها أتباع وأنصار، وأعداء وخصوم، وترتكز عقيدة هذه الفرقة على نظرية الإمامة واعتبارها أصلا من أصول الدين وحصرها في علي بن أبي طالب وأولاده من فاطمة الزهراء رضي الله عنهم، ثم حصرها في عدد معين ومحدد من أبناء الحسين بن علي تحديدا، واعتقاد العصمة لهؤلاء الأئمة، واعتماد السرية في العمل الدعوي والتربوي، واعتماد التأويل الباطني لكل الاعتقادات والعبادات والمعاملات الظاهرة، والتأ ويل الباطني لآي القرآن الكريم، والتعامل بالتقية مع المخالف لمعتقدهم.

وهناك عدد من الأسباب دفعت الباحث إلى دراسة الجوانب الفكرية الدعوية والتربوية لهذه الفرقة منها:

1 - الوقوف على حقيقة المعتقدات والمبادئ التي تؤمن بها وتدعو إليهاهذه الفرقة، بالإستناد إلى مؤلفات دعاتها قديما وحديثا في المقام الأول، مع الرجوع إلى بعض ما كتبه غيرهم.

2 - الوقوف على حقيقة التنظيم الفكري الدعوي والتربوي الخاص بهذه الفرقة من مصادرها للاستفادة من الجوانب الإيجابية في خدمة الدعوة والتربية في العصر الحاضر، وخدمة للبحث العلمي وللباحثين في هذا المجال وتحفيزا للتربويين والدعاة المسلمين من أهل السنة للنظر في الجوانب الإيجابية لهذا التنظيم والاستفادة منها.

3 - الوقوف على الجهود التربوية والدعوية للدعاة الإسماعيليون الذين يمثلون العمود الفقري لدعوتهم.

أسئلة يمكن للباحث بلورة سؤال البحث الرئيس على النحو الآتي:

ما النظام الفكري التربوي والدعوي للإسماعيلية في اليمن؟

وللإجابة على هذا السؤال يسعى الباحث للإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

1 -ما العوامل التي ساعدت على قيام الكيان السياسي الإسماعيلي الأول في اليمن؟

2 -ما النظام الفكري المتعلق بالمبادئ والمعتقدات التي تقوم عليها الدعوة والتربية الإسماعيلية؟

3 -ما النظام الفكري المتعلق بالأساليب التي اتبعتها الدعوة والتربية الإسماعيلية في اليمن في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة؟

4- ما الأسباب التي جعلت الدعوة والتربية الإسماعيلية في اليمن تعود إلى مرحلة السرية من جديد؟

أهمية البحث: يمكن بلورة أهمية هذا البحث في نقطتين اثنتين:نظرية وتطبيقية.

تتمثل الأهمية النظرية في خدمة التراث الفكري بشكل عام والتربوي بشكل خاص،ورفد المكتبة التربوية والتاريخية والفكرية عامة بمساهمة علمية تتناول النظام الفكري الدعوي والتربوي للإسماعيلية.

أما الأهمية التطبيقية فتتمثل في ما يمكن أن يستفاد من البحث بعد اكتماله في العملية التربوية المعاصرة.

حدود البحث:

حدود زمنية: يقتصر على الفترة الزمنية للكيان السياسي الأول من إعلانه إلى أن تم القضاء عليه(268 - 303هـ) .

حدود مكانية: يقتصر على المناطق التي سيطر عليها ابن الفضل وابن حوشب.

حدود موضوعية:يقتصر على أجزاء من النظام الفكري،وبعض المبادئ والمعتقدات وبعض الأساليب المتبعة عند الإسماعيلية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج التاريخي باعتباره أنسب المناهج له.

التعريفات الإجرائية:

النظام الفكري الدعوي والتربوي:

يقصد به:الهيكل التنظيمي للدعوة والنظام المتقن والمنظم المتعلق بفكرالدعوة أو بالقائمين على تنفيذه بدءً من تأسيس الدعوة واختراعها وتخطيطها وتنظيم المعتقدات والمبادئ التي تقوم على أساسها مرورا بتنظيم عمل الدعاة وتحديد مراتبهم ومهامهم ووظائفهم في كل مرتبة ،وتنظيم عملية البناء والإعداد وعملية الاستقطاب،والطرق والأساليب والوسائل التربوية والتعليمية التي استند إليها الدعاة الإسماعيلية في دعوتهم وتربيتهم وتعليمهم لأتباعهم،وانتهاء بتنظيم عمل الدعوة في دور الستر وعملها عندما تكون في الحكم .

علما أن التربية والدعوة عند الإسماعيلية بينهما ارتباط وثيق يعد من المزايا التي تتميز بها عن غيرها من الفرق.

فرقة الإسماعيلية:

هي إحدى الفرق الشيعية تقوم على نظام فكري يميزها عن غيرها من الفرق الشيعية ،تتفق مع الإثناعشرية في بعض المبادئ والأفكار والمعتقدات وتختلف معهم في عدد الأئمة ومسائل أخرى.

تعتقد"بأئمة الستة(من علي إلى جعفر بن محمد)،وأن السابع هو إسماعيل بن جعفر الصادق،وليس موسى الكاظم كما يقول غيرهم،وهم ثلاث فرق:الأولى قالت:إن الصادق مات قبل ولده إسماعيل،والثانية قالت:إن إسماعيل مات قبل أبيه الصادق ولكنه قبل موته نص على ولده محمد بن إسماعيل وهؤلاء هم القرامطة.الثالثة قالت:إن إسماعيل مات قبل أبيه ولكن الذي نص على إمامة ولده محمد هو جده الصادق لا أبيه إسماعيل"[1].

وإسماعيل هو الإمام السابع عندهم،سميت الإسماعيلية نسبة إليه،والاثناعشرية لا تعترف بإمامته،بينما وقف الإسماعيليون عند إمامته لذلك سموا بالسبعية،وهو الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق توفي في

[1] محمد جواد مغنية،**الشيعة** في الميزان، دار التعارف للمطبوعات:بيروت،ط 4، 1399هـ/1979م، ص34).

حياة والده،فرأت الاثنا عشرية أن والده جعفر الصادق نقل الإمامة إلى أخيه موسى الكاظم واعتبروه الإمام السابع"□.

وكل فرق الشيعة تعتقد أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ومن بعده في الحسن والحسين رضي الله عنهما ،وتختلف الشيعة في الإمامة من بعد الحسين فالاثنا عشرية تحصرها في اثني عشر إماما ،والإسماعيلية يحصرونها في سبعة من الأئمة.

أولاً :العوامل التي ساعدت على قيام الكيان السياسي الأول للإسماعيلية في اليمن.

هنالك عدد من العوامل ساهمت في نجاح الدعوة الإسماعيلية في اليمن وكانت وراء اختيار اليمن لتكون مقرا للدعوة والدولة ومنطلقا لنشر الدعوة في بلدان أخرى،من هذه العوامل:

1 -العامل السياسي في تلك الفترة الذي كان مضطربا وممزقا ،عندما كانت اليمن تابعة للخلافة العباسية وكانت أوضاعها مضطربة تتهددها الانقسامات والتمردات،لاسيما الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة ،واليمن إحدى الأقاليم التي كانت تعيش اضطرابا سياسياً كثرت فيه النزاعات بين الولايات وبين زعماء كل ولاية مما مهد لقيام الدعوة الفاطمية(الإسماعيلية)في اليمن التي ظهرت في عام 268هـ على يد منصور بن حوشب وزميله علي بن الفضل بر.

وفي ظل ضعف الخلافة العباسية في بغداد أعلنت الدولة الزيادية في اليمن استقلالها عن هذه الخلافة التي كانت تدين لها بالولاء ،ومهدت للآخرين الاستقلال دون حاجة إلى إعلان الولاء أو حتى التبعية الاسمية للخلافة ،وعندما وصلت الدولة الزيادية إلى مرحلة الضعف طمع فيها الطامعون وكان لضعفها أثر كبير في نجاح الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن تر،وقد شمل الضعف بقية الدويلات والكيانات السياسية التي كانت

[1]حسن صادق،جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات، مكتبة مدبولي:القاهرة،1411هـ/1991م،ص88.

[2]حسين فيض الله الهمداني،الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية:صنعاء،دون طبعة،2004م، ص27-29.

[3]محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي:مصر،دون طبعة،دون تاريخ،ص 235.

قائمة في تلك الفترة، وهو ما انتهزه الاسماعيليون لإقامة دولتهم متكئين على حالة الضعف والتشرذم التي كانت قائمة في عموم الأرض اليمنية.

ومعلوم أن أي طامح في الوصول إلى الحكم يستفيد من الوضع السياسي الممزق فيندفع إلى حشد قوته للانقضاض في اللحظة المناسبة، والضعف والاضطراب وعدم الاستقرار السياسي ينعكس على سائر الأوضاع في المجتمع ومنها الوضع الديني حيث يضعف اهتمام الناس بالدين مما ينتج عنه التهاون بفرائضه وأحكامه، إلى الجهل به وتركه خاصة عندما يغيب دور العلماء في التعليم والتفقيه والتنوير والتوجيه والإرشاد لأبناء المجتمع.

2 -غياب الأمن الفكري في المجتمع اليمني.

إن غياب أو عدم وجود أمن فكري في المجتمع يوحد أبناءه حول القضايا الرئيسية التي تجعل المجتمع متماسكا متآلفا متكاملا قويا واعيا مدركا للمخاطر والمؤامرات والأفكار التي تشكل خطرا على وحدته العقدية والسياسية والجغرافية والاجتماعية، وعلى قوته وتماسك أبنائه فتتضافر جهود علمائه وقادة الفكر والرأي فيه لحماية العقول من أي انحراف يحاول أن يجد منفذا إليها في جوانب العقيدة أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غيرها من المنافذ التي يستهدفها أي فكر منحرف في أي مجتمع يرى أن البيئة مهيأة فيه لنشر وترويج الأفكار التي يتبناها.

ومن يستقرئ التاريخ سيجد أن "المذاهب الباطنية قد انتشرت في عصر ضعفت فيه الخلافة العباسية وضعف أمر الدين والعناية بقواعده حتى ابتعد الكثيرون عنه وأصبح رسوما ظاهرة ومعاني مجهولة فيسر ذلك لأصحاب الفرق الباطنية أن يقوموا بدعوتهم باسم الإسلام نفسه كالقرامطة الشيوعيين الذين كانوا يدعون إلى العدالة الاجتماعية في الظاهر ويريدون هدم الإسلام في الباطن"[1].

[1] صلاح الدين المنجد،المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، دار الكتاب الجديد:دون بلد نشر،ط 1، 1969م،ص6 من المقدمة.

3 - العامل الجغرافي فبعد اليمن عن مركز الخلافة بغداد من العوامل التي هيأت لظهور وإعلان الدولة الفاطمية حيث لجأت جماعات الشيعة في نشر دعوتها ومبادئها إلى الاستتار والبعد عن أعداء الدعوة باتخاذ الأقطار البعيدة مزرعة لإنضاج هذه المبادئ،وقد وجدوا في اليمن مكاناً مناسباً لتنفيذ مشروعاتهم[1].

"وقد قيل إن :الجغرافية توجه التاريخ،ولئن صح هذا القول بعض الشيئ بالنسبة لبعض البلدان فإن صحته مطلقة بالنسبة لليمن؛ذلك أن الطبيعة الجغرافية لهذا البلد شغلت أعظم الأدوار في صنع تاريخه،فلقد سيطرت الطبيعة الجبلية على اليمن،لهذا نادرا ما نعمت بالوحدة السياسية والاستقرار،وهذا ما نلاحظه في تاريخها السابق لظهور الإسلام وما تلاه.." [2].

"لقد توجهت أنظار أحزاب المعارضة إلى اليمن ففيها نشط الخوارج لاسيما في أواخر العصر الأموي،كما نشط فيها أيام الدولة العباسية بعض دعاة الشيعة وتميز بين الشيعة الذين نشطوا بها أفراد من الأسرة الحسنية التي أقامت بالرس على مقربة من المدينة ونجح منهم هناك منذ عام 280هـ/893م الهادي إلى الحق يحي بن الحسين،وإلى اليمن بعثت الدعوة الإسماعيلية بدعاتها،وشهر من هؤلاء داعيين هما علي بن الفضل والحسن بن حوشب.." [3].

وتجدر الإشارة إلى أن الشيعة في اليمن في إطارهم العام بغض النظر عن فرقهم المتعددة قد أخذوا النصيب الأوفى من التواجد [4].

4 - عامل التشيع لعلي بن أبي طالب وولديه من فاطمة رضي الله عنهم فأهل اليمن يحبونهم،ويتابعونهم،وكثير منهم يدفعهم هذا الحب والطاعة إلى التنفيذ الكامل لكل ما يأمرونهم به اعتقادا منهم أن كل ما يصدر عنهم هو الدين الذي أمر الله بإتباعه،وأن تمكينهم دون غيرهم من الحكم

---

[1] حسين الهمداني،مرجع سابق،ص27-29).

[2] سهيل زكار،الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء-الشام-العراق-اليمن،دراسة وتحقيق لما جاء في مصنفات ثابت بن سنان بن قرة وغيره،دار حسان للطباعة والنشر،بدون بلد نشر،ط 3، 1407هـ /1987م،ج1،ص141.

[3] سهيل زكار،المرجع السابق،ج1،ص142.

[4] عبد الرحمن الشجاع، **تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**،دار الفكر المعاصر:صنعاء،ط 3،1999م، ص149.

هو مما أمر الله به،وقد عمل بعض الأئمة على ترسيخ هذا الأمر في عقول اليمنيين،مستفيدين من الجهل الذي عملوا على تعميقه بكل أشكاله لتحيقق هدفهم في أن يكون لهم وحدهم الحق في التربع على قمة الهرم الديني والسياسي والعلمي والاجتماعي في المجتمع،ولترسيخ هذه الأفكار التي صبغت صبغة دينية قاموا بتقسيم المجتمع تقسيما طبقيا يتنافى مع كل المبادئ والقيم الإسلامية وأهمها مبدأ الكرامة الإنسانية.

"كما كان لانتشار بعض مبادئ الإسماعيلية بين الزيدية مثل مبدأ المهدية إذ يعتقدون بظهور القحطاني المنتظر دور في تهيئة الأوساط اليمنية لدعاة الإسماعيلية فيما بعد.

فتحمس الناس لنظرية المهدي المنتظر الذي سينقذ البشرية من الظلم والطغيان كان له دور في إنجاح إسماعيلية اليمن حيث ربط ابن حوشب في أذهان اليمنيين بين القحطاني المنتظر ومهدي الإسماعيلية وهو ما شهدته اليمن خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من نشاط ملحوظ للدعوة الإسماعيلية على يد اثنين من أنشط دعاتها"[1].

5 - انتشار الأمية في بعض مناطق اليمن جعلها بيئات مناسبة لأي فرقة أو فكر يرغب في نشر الأفكار والمعتقدات التي يريد نشرها،ومن ينظر في مناطق انتشار الشيعة عموما والإسماعيلية خصوصا في اليمن وفي غيرها في الماضي والحاضر يدرك صدق هذه المقولة.

والمتتبع لأحداث التاريخ الإسلامي يتبين له أنه حيث ينتشر الجهل و الفراغ الروحي والثقافي في عقول ونفوس الناس تنشط المذاهب والأفكار المخالفة للإسلام بما فيها المذاهب التي تسعى لهدم الإسلام وتراثه [2].

العوامل السابقة وغيرها كانت واضحة أمام قيادة الدعوة الإسماعيلية،وهي التي حفزتها وجعلتها تسعى حثيثا لتحقيق هدفها في إقامة دولة لهم في اليمن،فقامت قيادة الدعوة الإسماعيلية برسم خطة لإقامة هذه الدولة،لكنها استبدلتها بخطة أخرى لقيام الدولة في المغرب دون استبعاد اليمن تماماً من خطتهم؛إما كبديل

[1] محمد قايد الوجيه،**الحركة الإسماعيلية في اليمن 268-570هـ/883-1174م**،رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ من قسم التاريخ،كلية الآداب،جامعة المنصورة،جمهورية مصر العربية،1423هـ/2002م،ص30-31.

[2] صلاح الدين المنجد،المجتمع الإسلامي في ظل العدالة،مرجع سابق،ص6 من المقدمة.

وإما لفتح جبهة أخرى تشغل مناوئيهم عن تحركاتهم في بلاد المغرب،وإما لإحكام القبضة على الخلافة العباسية من مغربها ومشرقها في وقت واحد[1].

يشار إلى أن الجانب المهم الذي عولت عليه الفرقة في نجاحها ووصولها إلى تحقيق هدفها هو اعتمادها على نظام فكري وتنظيمي دقيق ومتقن يعد سمة للدعوة الإسماعيلية يشمل كل ماله صلة بالدعوة،وهو نظام أعد لينظم ويخدم الدعوة على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

ويرى بعض الباحثين أن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب إنما تحقق بفضل جهود دعاة اليمن أمثال ابن حوشب وابن الفضل وغيرهما من اليمنيين الذين كان لهم أثر بعيد في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن والبحرين واليمامة والسند والهند ومصر والمغرب بر،كما أن أخطر وأشهر دعاة الدعوة الإسماعيلية في المغرب هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد الصنعاني المعروف بالشيعي من تلاميذ ابن حوشب تمكن من الاتصال بزعماء كتامة واستطاع أن يستأنف الدعوة للمذهب بينهم ونجح في ذلك نجاحا كبيرا،وانتقل بالقضية من مرحلة الدعوة والإعداد إلى مرحلة المواجهة مع القوى الكبرى في المغربين الأدنى والأوسط تر.

ظروف النشأة:

يذكر المقريزي أن الدعوة"منسوبة إلى شخص كان بالعراق يعرف بميمون القداح،وكان من غلاة الشيعة فولد له ابنا عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه وكثرت معارفه...فرتب له مذهبا وجعله في تسع دعوات،ودعا الناس إلى مذهبه فاستجاب له خلق،وكان يدعو إلى الإمام محمد بن إسماعيل وظهر من

[1] انظر:عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص175.

[2] حسن إبراهيم حسن،**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**،دار إحياء التراث العربي،دون بلد نشر،ط 1، 1967م،ج4،ص197.

[3] يوسف بن أحمد حوالة،الحياة العلمية في إفريقية،المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري(90 /450هـ)،معهد البحوث العلمية:مركز بحوث الدراسات الإسلامية،جامعة أم القرى،مكة المكرمة،المملكة العربية السعودية،دون طبعة،1421هـ/2000م،ج1،ص71-72.

الأهواز...ولما اشتهرت دعاته وأنكر الناس عليه وهموا به فر إلى البصرة ...فلما انتشر ذكره بها طلب فصار إلى بلاد الشام وأقام بسلمية... "[1].

"... فانتشر الدعاة في أقطار الأرض وتفقهوا في الدعوة حينما وضعوا فيها الكتب الكثيرة، وصارت علما من العلوم المدونة، ثم اضمحلت وذهبت بذهاب أهلها.ولهذا يقال:إن أصل دعوة الإسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من أجلها إلى الإلحاد" [2].

ومن الصعوبة تحديد بداية الدعوة بدقة لأنها بدأت حركة سرية محضة لم يقف على أهدافها وطرقها إلا القليل من دعاتها المقربون إلى زعيمها، ويرجع بعض الباحثين نشأة الإسماعيلية الأولى إلى سنة128هـ في العراق وفارس دعوة دينية في عهد الإمام جعفر الصادق، ثم بدأت تتحول إلى حركة سياسية منذ سنة259هـ ولكن هذا لا يعني أن الاختلاف - حول زمان ومكان انطلاق الدعوة وتحديد شخصية مؤسسها - لم يعد قائما [3].

وقد"نشأت في العراق وبسبب الاضطهاد فر المعتنقون لها إلى فارس وخراسان وما وراء ذلك من الأقاليم الإسلامية كالهند والتركستان، وهناك خالط مذهبهم بعض أراء من عقائد الفرس القديمة، والأفكار الهندية، فانحرف كثيرون منهم وقام فيهم ذوو أهواء، وحمل اسم الإسماعيلية طوائف كثيرة بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام، وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من نحل لا تتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية لاتصالهم وتأثرهم ببراهمة الهنود والفلاسفة الإشراقيين والبوذيين وبقايا ما كان عند الكلدان والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم وغيرها..." [4].

وعليه فلا غرابة أن تكون عقيدة الإسماعيلية مخالفة لعقيدة الإسلام التي تعرفها المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى نتيجة تأثرهم بالديانات والفلسفات والعقائد القديمة.

---

[1] أحمد بن علي المقريزي،**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**،تحقيق:د.محمد زينهم،ومديحة الشرقاوي،مكتبة مدبولي:القاهرة،ط 1، 1998م،ج2،ص143.

[2]أحمد المقريزي،المصدر السابق،المكان نفسه.

[3]محمد الوجيه،الحركة الإسماعيلية في اليمن،مرجع سابق ،ص27-28.

[4]محمد أبو زهرة،**تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي:القاهرة،دون طبعة،دون تاريخ،ص53 بتصرف.

وأما انطلاقة الدعوة في اليمن فيذكر ثامر أن ذلك بدأ في عهد الإمام الحسين الأهوازي حينما تمكن من استقطاب منصور بن حسن الكوفي الذي اشتهر فيما بعد بمنصور اليمن وعلي بن الفضل التقى بهما في الكوفة أثناء عودتهما من الحج،وكانا يدعوان إلى الحسن العسكري إمام الإثناعشرية[1]،أي أنهما كانا على مذهب الإثناعشرية قبل تحولهما إلى الإسماعيلية،وليس هناك دليل على عدم وجود أتباع للدعوة الإسماعيلية في اليمن قبل هذا التاريخ.

التسمية:

أطلق على أتباع الدعوة تسميات عدة،فسموا بالقرامطة من بعض من كتبوا في الفرق الإسلامية،وكانت هي التسمية الغالبة لهم عند المؤرخين اليمنيين المعاصرين لهم بر،وسبب هذه التسمية يعود إلى أنهم نسبوهم لحمدان بن الأشعث المعروف بقرمط بسبب ما ذكر عن قرمط هذا أنه أول من أعلن الباطن وبسبب إعلانه اتهموا بالإلحاد والزندقة والإباحية.

وأطلق عليهم اسم الباطنية وسبب تسميتهم به يرجع إلى الأسباب الآتية:

1 -اتجاههم إلى الاستخفاء عن الناس الذي كان وليد الاضطهاد أولاً، ثم صار حالاً نفسية عند طوائف منهم. تر.

2 - قولهم في كثير من الأحوال:إن الإمام مستور واستمر مستورا إلى أن أنشئت دولة لهم في المغرب، ثم انتقلت إلى مصر.

[1]عارف ثامر، **تاريخ الإسماعيلية(الدعوة والعقيدة)**، رياض الريس للكتب والنشر،لندن وقبرص،ط 1، 1991م،ج1،ص271).

[2]مثل :عمر ابن سمرة الجعدي في كتابه: **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق:فؤاد سيد،دار الكتب العلمية:بيروت،ط 2، 1401هـ/1981م،ويحيى بن الحسين في كتابه: **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق وتقديم:د.سعيد عاشور،مراجعة د.محمد زيادة،دار الكتاب العربي:القاهرة،دون طبعة،1388هـ/1968م،وغيرهما من المؤرخين الذين عاصروا ظهور هذه الفرقة.

[3]محمد أبو زهرة،تاريخ المذاهب مرجع سابق، ص53.

3 - قولهم:"إن للشريعة ظاهراً وباطناً،وأن الناس يعلمون علم الظاهر،وعند الإمام علم الباطن،بل عنده باطن الباطن،وأولوا على هذا ألفاظ القرآن تأويلات بعيدة؛وأول بعضهم بعض الألفاظ العربية تأويلات غريبة وجعلوا هذه التأويلات هي وما عند الإمام من أسرار علم باطن،وقد شاركهم الإثناعشرية في هذا الجزء الخاص بعلم الظاهر والباطن..."[1]،وأما اعتمادهم السرية وسموا مع هذا باسم الباطنية فلعل ذلك التكتم الشديد الذي فرضته الدعوة على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها كان سببه (في نظرهم)الخوف من اضطهاد المضطهدين ونقض الناقضين بر.

لقد كانت السرية جزءاً أساسياً من عقيدتهم وكانت مدعاةً لانقطاعهم عن جماهير الأمة،وكلما اشتد الكتمان اشتد معه البعد.

وبلغ بهم الكتمان درجة كانوا يكتبون الكتب والرسائل ولا يعلنوا عن أسماء كاتبيها كرسائل إخوان الصفا،وفي الجملة كانوا يسترون كثيراً من آرائهم ولا يعلنون إلا ما تسمح الحال بإعلانه،ولا يكشفون كل ما يرتؤون حتى في الوقت الذي كانت لهم فيه دولة وسلطان في شرق وغرب تر.

هذا التكتم الشديد والسرية المحكمة في كل أمور الدعوة استدعت إنشاء تنظيمات دعوية ومنظمات سرية لخدمة الدعوة وتحقيق أهدافها وفق رؤيتهم،وهذه من سمات عقيدتهم التي تؤكد على أنها عقيدة يكتنفها الغموض وبسبب ذلك فهي تختلف عن العقيدة الإسلامية الواضحة.

والإسماعيليون لا ينكرون العقيدة التي يعتقدونها بل يفاخرون بأن لهم "عقيدة دينية خاصة دانوا الله بها،وعملواعلى نشرها في العالم بالدعاية المنظمة تنظيما عجيبا،..ويرون أن ما حققوه من نجاح إنما يرجع إلى المنظمات السرية التي بذروا بذورها،وإلى الإيمان العميق الذي كان يهيب بالأتباع للتضحية بأنفسهم في سبيل

[1] المرجع نفسه، ص54.

[2] حسين الهمداني،مرجع سابق،ص249.

[3] محمد أبو زهرة، مرجع سابق،ص53-54.

المصلحة العامة،وتنفيذا لأوامر رؤسائهم الروحيين الذين كانوا يثقون بهم ثقة عمياء مطلقة ويؤمنون بهم الإيمان الذي لا يتزعزع"[1].

والسرية الشديدة سببها في نظر الباحث تلك الأفكار التي تقوم عليها الدعوة بدءً من الاعتقاد بضرورة وجود الأئمة،واعتقادعصمتهم،وعلمهم الغيب،وأن عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم،وغير ذلك،ولتسويغ هذا الاعتقاد جاءوا بفكرة التأويل الباطني لكل المسائل الظاهرة،فأولوا كل آيات القرآن،ثم دعموا وجهتهم المخالفة في تأويل معاني القرآن وتأويل الفرائض وعموم ما جاء به الإسلام بمبدأ التقية في تعاملهم مع خصوم الدعوة ومع كل من ليس معهم ولا يؤمن بأفكارهم.

ومن المسلم به قطعاً أن"كل ما في القرآن من خبر عن نبي من الأنبياء،أو مسخ أو عذاب أو نعيم،أو غير ذلك فهو حق على ظاهره لا رمز في شيئ منه قال تعالى:{قرآنا عربيا} [2]،وقال تعالى:{تبيانا لكل شيئ} [3]،وأنكر تعالى على قوم خالفوا هذا فقال تعالى:{يحرفون الكلم عن مواضعه} [4]ولا سر في الدين عند أحد قال الله عز وجل:{إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا } [5]،وقال تعالى:{لتبيننه للناس ولا تكتمونه} [6]"[7].

وهناك مبادئ ومعتقدات أخرى تتعلق بأدائهم العبادات وتأويلهم لمعانيها،ومبادئ تتعلق بالاحتفالات الدينية حول أضرحة أئمتهم وما يقدمونه من أموال؛إما على شكل نذور،أو أموال مقتطعة من كل مكاسبهم ودخولهم المالية،وغير ذلك مما يذهب إلى جيوب وخزائن الدعاة،أو المراجع أو السدنة،الذين يحتكرون علم

---

[1] مصطفى غالب،**تاريخ الدعوة الإسماعيلية**،دار الأندلس للطباعة والنشر:بيروت،ط 2، 1965م.،من مقدمة الطبعة الثانية،ص5.

[2] سورة يوسف، آية 2.
[3] سورة النحل،آية 89.
[4] سورة النساء،آية 46.
[5] سورة البقرة،آية 159-160.
[6] سورة آل عمران،آية 187.
[7] أحمد بن علي بن حزم،**المحلى**، تحقيق أحمد محمد شاكر،مكتبة دار التراث:القاهرة،الطبعة الشرعية الوحيدة،1426هـ2005م،المجلد الأول،ص15.

الأئمة -حسب زعمهم -،وغير ذلك من المسائل العقدية البالغة التعقيد مما تتصف به هذه الدعوة،ما جعلها تعتمد السرية في كل أمورها،وجعل منها لغزا لا يستطيع حله وفهمه إلا الدعاة الذين يتلقون عن الإمام وينفذون ما يأمرهم به لاعتقادهم أن عنده من العلوم ما ليس عند أحد من البشر.

ويرى الباحث أن هذه الاعتقادات والمبادئ وما نسب إليهم من أقوال وأفعال تتناقض مع العقيدة الإسلامية التي يعرفها عموم المسلمين هي ما جعل عموم الأمة تناصبهم العداء أو على الأقل تتعامل معهم بحذر شديد وريبة لها ما يبررها.

أما سرية العمل الدعوي فمن المعلوم أن من حق أي شخص وأي جماعة وأي حزب وأي دولة أن يكون له أشياء يخفيها،ولا يطلع عليها أحدا،وتراث الأمة مليء بالنصائح التي تحث الإنسان على كتمان أسراره والحرص على أن لا يطلع أحد على خصوصياته،لكن يمكن أن يقال أيضا إن أي جماعة تحيط نفسها بجدار منيع من السرية وتوحي إلى الآخرين أن لديها الكثير مما لا ينبغي الاطلاع عليه تثير الشكوك حولها[1]،وهذا ينطبق على الدعوة الإسماعيلية منذ نشأتها إلى اليوم.

ثانياً:النظام الفكري المتعلق بالمبادئ والاعتقادات التي تقوم عليها الإسماعيلية.

إن مؤسس ومهندس هذه الدعوة عبد الله بن ميمون القداح وهو فارسي هو من نظمها ووضع مبادئها،وكان واسع المعرفة بجميع المذاهب والأديان،وهو الذي كون جمعية سرية حول محمد بن إسماعيل هدفها تقويض الدولة العباسية،وكان يستعين على جذب الناس إليه بطرق تتناسب مع كل شخص،فأشخاص يجذبهم بالسحر والشعوذة،وأشخاص يجذبهم بإظهار التقوى والنسك،وكان يزعم أن دينه دين النور الخالص،ودعا كل أعضاء جمعيته إلى الاشتراك في كل ما يكسبون مقيما بينهم ضربا من الألفة" [2].

[1] عبد الكريم بكار،وجهتي في الحياة((رؤى وأفكار ومنهجيات آمنت بها))،مركز الراية للتنمية الفكرية،جدة:المملكة العربية السعودية،ط 1، 2007/1428م،ص97.

[2]شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الثاني،دار المعارف:القاهرة،ط4،دون تاريخ،ص34.

ولا شك أن القداح ومن على شاكلته قد استغلوا مكانة أهل البيت وقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المحددة عند الشيعة في علي وابنيه من فاطمة الزهراء رضي الله عنهم في نفوس المسلمين ليكون المدخل المناسب للإيقاع بين المسلمين وبث بذور النزاع والفرقة بينهم فادعوا أحقيتهم بإمامة المسلمين السياسية والدينية والعلمية، وما يترتب على ذلك من مكانة اجتماعية الأمر الذي دفع بعض الأسر إلى أن تدعي انتسابها للبيت العلوي لتحظى بهذه المكانة.

لقد استغل كل طامع للسلطة حب علي بن أبي طالب وأبنائه فأظهر التشيع لهم لتحقيق مآربه من وراء ذلك، فظهرت فرق كثيرة حملت المظهر الشيعي وسلكت مسلكا فيه كل بعد عن الإسلام، وتحت هذا المظهر قامت الحركات والفرق الشيعية ومنها الإمامية التي بدأت تصيغ أفكارا لها وتبلورها ثم نسبتها للعصور التي خلت وللرجال الذين مضوا وما هم كذلك، واختلط الأمر على المؤرخين المحدثين وظنوا أن هذه الأفكار قد نشأت منذ صدر الإسلام وحملوها عظماء رجال ذلك العهد أمثال زين العابدين علي بن الحسين وابنه زيد وابن أخيه جعفر الصادق، وشاع ذلك، وما جاء القرن الرابع الهجري إلا ومدعوا التشيع يسيطرون على أكثر أرجاء الدولة الإسلامية[1].

وبالرغم من سيطرة الشيعة على مساحة واسعة من أرجاء الدولة الإسلامية فإنهم لم يعملوا على وحدة صفوفهم لأنهم لم يكونوا فرقة واحدة ولم يحملوا فكرا واحدا، ولا هدفا واحدا، وإنما كان لكل إمارة أو دولة رقعة من الأرض تحكمها الأمر الذي يدل على أنهم رجال طامعون، وأصحاب مصالح وغايات اتخذوا من التشيع وسيلة لهم للسيطرة على الحكم وتحقيق أغراضهم من وراء ذلك[2].

ويظهر أن هذه الصفة ملازمة لهم في كل عصر ومصر، ونظرة إلى بعض الجماعات أوالأحزاب أو الدول الشيعية قديما وحديثا توضح أن علاقتهم بغيرهم في الداخل أو في الخارج تقوم على المصلحة التي تتحقق لهم من وراء هذه العلاقة فحيثما وجدت مصلحتهم فهم موجودون.

---

[1] محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي** الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، دون بلد نشر، ط 5، 1411هـ/1991م، المجلد الخامس، ج1، ص5-6.

[2] محمود شاكر، المرجع السابق، المجلد الخامس، ج1، ص6.

وعليه فإن العلويين عامة ظلوا يعتقدون أنهم أحق بزعامة المسلمين،وظلوا يناضلون في سبيل هذه الزعامة بالسيف تارة،وبالمكيدة والدهاء تارة أخرى حتى توجت جهودهم بقيام الخلافة الفاطمية التي قامت على أساس فكرة تقديس الإمام وعصمته،ومن ثم نرى الشيعة يخلعون على خلفائهم من صفات التقديس ما لم يتصف به خلفاء بني العباس،ولكي يحيط الخلفاء الفاطميون أنفسهم بهالة من التقديس عمدوا إلى تأسيس المدارس الخاصة بهم لتعليم عقائد المذهب الذي يقوم على تقديس الأئمة،وكان من أثر هذه الجهود أن راجت فكرة تقديس الأئمة في كثير من أرجاء العالم الإسلامي كمصر واليمن وفارس والهند،بل لقد توغلت هذه التعاليم في بلاد الأندلس نفسها التي كانت تحت نفوذ الأمويين السنيين[1].

بعض المبادئ والاعتقادات التي تقوم عليها الدعوة الإسماعيلية:

تقوم الإسماعيلية على جملة من المبادئ والاعتقادات،فالمبادئ التي يعتنقها المعتدلة منهم بنيت على ثلاث شعب يشاركهم في أكثرها الإثناعشرية :

أولها:الفيض الإلهي من المعرفة التي يفيض الله بها على الأئمة فيجعلهم بمقتضى إمامتهم فوق الناس قدرا،وفوقهم علما،فهم قد اختصوا بعلم ليس عند غيرهم،وعندهم علم بالشريعة قد أوتوه فوق مدارك الناس.

الثانية:أن الإمام لا يلزم أن يكون ظاهرا معروفا،بل يصح أن يكون خفيا مستورا،ومع ذلك تجب طاعته،وهو المهدي الذي يهدي الناس،وأنه يظهر في جيل من الأجيال فإنه لا بد ظاهر؛وإنه لن تقوم القيامة حتى يظهر ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما.

الثالثة:أن الإمام ليس مسئولا أمام أحد من الناس وليس لأحد من الناس أن يخطئه مهما يأت من أفعال،بل يجب عليهم أن يصدقوا أن كل ما يفعله خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته،ومن هذا قرروا أنهم أئمة معصومون لا بمعنى أنهم لا يرتكبون الخطايا التي نعلمها،بل على معنى أن ما نسميه نحن خطايا قد يكون عندهم من العلم ما ينير السبيل لهم فيه،ويكون سائغا لهم وليس بسائغ لسائر الناس [2].

[1] حسن إبراهيم حسن،**تاريخ الإسلام**، دار إحياء التراث العربي،دون بلد نشر،ط 7، 1965م،ج3،ص251.

[2] محمد أبو زهرة،مرجع سابق،ص54-55.

"والفاطميون يعتقدون أن الإمامة باقية في نسل الطيب ابن الآمر بالله الذي هو الحادي والعشرون ويسمونه إمام الزمان وقطب العصر، ثم تبقى الإمامة في بنيه ولدا بعد ولد وخلفا بعد سلف حتى يكمل عددهم المائة وحينئذ يبدأ عهد الظهور الكامل يسمونه"دور الكشف"مستدلين على ذلك بخبر مأثور عندهم مفاده أن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألته أن يعطيها مثل ما أعطى سليمان بن داود ابنته عند زواجها فأعطاها سبحة وهي تشتمل على مائة حبة وبين لها أنها خير مما أعطى سليمان لابنته"[1].

"وفي عدد حبات هذه السبحة رمز إلى أنه يكون في أعقابها مائة قطب يديرون رحى الزمان، ولما جرح الآمر بالله "الإمام العشرون"استناب عنه في الملك أحد أبناء عمومته ولقبه بالحافظ، ومن هذا اللقب وحده نستدل على أن الملك أصبح وديعة محفوظة، وأمانة ترد إلى أهلها، والحافظ لم يكن من أبناء الأئمة ولا وارثا شرعيا لها، لكنه غصب الذمة واغتصب الوديعة واستأثر لنفسه بالملك، وقد خلا له الجو بموت الآمر بالله وذهاب ابنه الطيب فولى عنه الدعاة وجوههم، وازداد الحال من سيئ إلى أسوأ في خلافة من جاء بعدهم وهم الظاهر(544 -545هـ)والفائز(545هـ) والعاضد (555هـ567هـ)حتى انقرضت أسرتهم بقيام الأيوبيين" [2].

"أما الطيب فإنه استتر باليمن وولى الدعاة المطلقين الذين بدؤوا دور الاستتار الكبير من عهد الطيب حتى بلغ عدد هؤلاء الدعاة ثلاثة وعشرين باليمن، ثم انتقلوا بالدعوة إلى الهند وأقام بها الدعاة كذلك حتى بلغ عددهم مثل عدد أسلافهم باليمن، وكانت جملتهم ستة وأربعين إلا أن الأخير منهم قتل سنة1256بالسم كما قيل على إثر مكيدة دبرها أحد منافسيه" [3].

"ومن ذلك الحين انقطع خبر الإمام ولم تعد رسائله تصل إلى دعاته فأقام العلماء ذلك المنافس نائبا للداعي المقتول خوفا من شتات شمل هذه الجماعة حتى يرد نبأ صحيح من إمامهم المستتر من أبناء الطيب، وبقيت هذه الدعوة موروثة في أسرة هذا النائب وأعقابه حتى اليوم، وأولهم عبد القادر نجم الدين ابن الداعي طيب زين

[1] علي بن الوليد، **كتاب الذخيرة في الحقيقة**، تحقيق:محمد حسن الأعظمي،دار الثقافة:بيروت،دون طبعة،1971م، ص8 من المقدمة للمحقق محمد الأعظمي.

[2] علي بن الوليد،المصدر السابق،المكان نفسه.

[3] المصدر السابق،المكان نفسه.

الدين،وثانيهم عبد الحسين حسام الدين ابن الداعي طيب زين الدين،وثالثهم محمد برهان الدين ابن عبد القادر نجم الدين،ورابعهم عبد الله بدر الدين ابن عبد الحسين حسام الدين،وخامسهم طاهر سيف الدين ابن محمد برهان الدين،وسادسهم محمد برهان الدين (سمي جده)وهو على قيد الحياة.الدعاة جميعا ليسوا من سلالة الأئمة"[1].

هذه الدعوة"قامت عند منظميها الأوائل وتحديدا عبد الله بن ميمون القداح على الأخذ من التعاليم المانوية الفارسية،وعلى الفلسفة اليونانية،وتعاليم جلبها من فرق الشيعة الغالية كفرقة الخطابية،ودعا في قوة إلى فكرة التأويل في الآيات القرآنية حتى يمكن فهم معانيها الباطنة المستترة،أو معانيها الخفية التي ترمز إليها من بعيد" بر،"وكانت نظرية الإمامة هي النظرية الأساسية التي تبلورت حولها فرق الشيعة جميعها،واعتبروها حق ملكي مقدس،وهذه النظرية كانت سائدة في بلاد الفرس في عهد آل ساسان أخذها عنهم الخلفاء العباسيون،ولقيت فيما بعد قبولا عند الفاطميين،فأصبح الإمام في نظر الناس ظل الله في الأرض،وأصبح شخصا مقدسا أوامره ونواهيه لا يجوز مخالفتها لأنها صادرة من الله الذي أملاها على الإمام المعلم الذي تلقى علمه من الله عن طريق الوحي" تر.

ويرى الإسماعيليون ومعهم معظم فرق الشيعة أن الإمامة تعد أصلا من أصول الدين(التوحيد والنبوة والمعاد)هذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين عند المسلمين السنة،وهي عند عموم الشيعة أربعة أصول بإضافة الإمامة التي يعدونها ركن الدين وقاعدة الإسلام،وهي واجبة بالتعيين والتنصيص وليس بالاختيار كما يذهب أهل السنة،ويرون أنها وراثة إلى يوم القيامة في الوصي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي ذريته من فاطمة رضي الله عنها وذلك بمقتضى حديث غدير خم ير.

[1]المصدر نفسه،المكان نفسه.

[2]شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي الثاني،مرجع سابق،ص34.

[3]حسن إبراهيم،تاريخ الإسلام،مرجع سابق،ج3،ص252.

[4]يوسف حوالة،الحياة العلمية في أفريقية،مرجع سابق، ج2ص67-68.

ولأن الإمامة هي المرتكز في عقيدة الشيعة بمختلف مسمياتهم،فإنه يتفرع عنها كل ما هو مثار للجدل والنقاش مع الفرق الإسلامية الأخرى[1].

فالشيعة يعتقدون أن الإمام ضروري للجنس البشري،وأن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو مستور تبعا للقوة المادية التي تؤيده،ولا بد لكمال الإسلام أن يعرف الشخص إمام عصره..بل يروون حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية..يقول المؤيد الشيرازي:ولاية الرسول كالمركز الذي تدور عليه الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده،وإذا كانت هذه نصبة الرسول(مكانته)في حياته،كانت نصبة من يوليه أمر الدين بعده مثلها،وكمثل ذلك نصبة من يليه،ومن يلي منه وهكذا [2].

وتبعا لهذا الاعتقاد في الإمامة فمنزلة الإمام عندهم منزلة كبيرة،يقول أحد رؤساء الدعوة في القرن التاسع الهجري:"واعلم بأن الإمام الموجود للأنام في كل عصر وزمان لا يغيب عن العيان لأنه شمس فلك الدين وآية الله في السماوات والأرض وبه صلاح العالم بأسره،كما أن الشمس هي الباعثة في العالم روح الحياة،وهو قلب هذا العالم الكبير ومدبره وممده،فبمعرفته وطاعته والتخلي عن ضده صلاح المؤمنين،وهو فرد الحقيقة ومرتب الدوام وموجد النظام وهو القائل عن نفسه:"ظاهرنا إمامة وباطننا غيب لا يدرك"،وقال:"عبدي أطعني أجعلك مثلي حياً لا تموت وعزيزاً لا تذل وغنياً لا تفتقر"والحياة في التأويل الباطني هي العلم،والموت هو موت الجهل.كما فسرها المحقق في الهامش. [3]

[1]موسى الموسوي،**الشيعة والتصحيح الصراع بين الشيعة والتشيع**، دون دار نشر،دون بلد نشر،دون طبعة،1408هـ/1988م ،ص9.

[2]المجالس المؤيدية ج1،ص5 نقلا عن أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي جوانب التاريخ والنظم والفلسفة،مكتبة النهضة:القاهرة،ط 8، 1987م،ص406.

[3]شهاب الدين أبو فراس، **مطالع الشموس في معرفة النفوس**،الرسالة الأولى ضمن أربع رسائل إسماعيلية،تقديم وتحقيق:عارف ثامر،دار ومكتبة الحياة،بيروت،ط2،دون تاريخ، ص14-15.

و"الأئمة قوام الله على خلقه،وعرفاؤه على عباده،لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه،ويدخل النار من أنكرهم وأنكروه"..فهم أوتاد الأرض وأركان الدين في كافة الأدوار والأكوار"[1].

والإمامة هي إحدى دعائم الإسلام السبعة عند الإسماعيلية بل يرون أنها أفضل دعائم الإسلام وأقواها ولا يستقيم الدين إلا بها [2].

ولمكانة الإمام في المذهب الشيعي الإسماعيلي ترد السلطة إليه وحده،حيث يجعلون منه مصدراً ثالثاً من مصادر التشريع بعد القرآن والسنة تر،بل الإمام عندهم وما يصدر منه هو المصدر الأول إن لم يكن المصدر الوحيد لأن عنده علم الباطن الذي هو تأويل القرآن والشريعة حسب ما يريد.

ولبيان عقيدة الشيعة في الوصية والإمامة يشير الباحث إلى أن مدعي التشيع -كما يسميهم أحمد شلبي -يعتقدون أن لكل نبي وصيا ير،وأن الله تعالى هو الذي يختار الوصي لنبيه،وقد كان وصي آدم هابيل،ووصي نوح ابنه سام،ووصي إبراهيم ابنه إسماعيل،ووصي موسى أخاه هارون،ووصي عيسى حواريه شمعون،فوجب لمحمد وصيا.

وسبب الحاجة إلى الوصي أن سنة الله مضت في جميع من أرسله من رسله أن يكون الرسول هو الناطق بظاهر الشريعة والتنزيل،ويقيم الله له أساسا من أقرب الناس إليه ممن استجاب لدعوته ورضي محبته للقيام بأمر الباطن[3].

ومن أجل هذا اختار الله عليا ليكون وصي الرسول محمد والقائم بأمر الباطن،وأعلم الله محمدا بذلك،فَهَمَّ الرسول بأن يُطْلِعَ أصحابه على ما أوحاه الله إليه،ولكن كان علي أحدث الصحابة سنا،وكان من المصلحة أن يرجئ هذا الإعلان،فأنزل الله تعالى{لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا

[1] شهاب الدين أبو فراس،المصدر السابق،ص15.

[2] يوسف حوالة،الحياة العلمية في إفريقية،مرجع سابق،ج2ص68-70).
[3] بوبة مجاني،دراسات إسماعيلية،مطبوعات جامعة منتوري:قسنطينة،الجزائر،2002-2003م،ص7.
[4] من أجل أن يثبتوا أن عليا رضي الله عنه هو وصي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
[5] جعفر بن منصور اليمن،الفترات والقرانات،12ب مخطوط،نقلا عن أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،مرجع سابق، ص404-405.

قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه}[1]،فكتم الرسول الإعلان عن ذلك إلى أن أنزل الله عليه في حجة الوداع{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}[2]،ومعناها عند مدعي التشيع:أخبر قومك أن عليا قد اختير ليكون وصيا.

"فلما رجع رسول الله من حجة الوداع وصار بغدير خم أمر بالدرجات فقممن له،ثم نادى الصلاة جامعة،فاجتمع الناس،وأخذ بيد علي فأقامه إلى جانبه وقال:أيها الناس اعلموا أن عليا مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي،فمن كنت مولاه فعلي مولاه،ومن كنت وليه فعلي وليه وأميره،ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه وقال:اللهم وال من والاه،وعاد من عاداه،وانصر من نصره،واخذل من خذله،وأدر الحق معه حيث دار"[3].

وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم باللفظ الآتي دون الزيادة التي أوردها الشيعة في روايتهم للحديث:"من كنت مولاه فإن عليا مولاه،اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"أورده الألباني[4]،غير أن الحدث والمناسبة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم الحديث لأجلها لم تكن إعلام الصحابة أن عليا هو الخليفة له بعد وفاته كما روى ذلك الشيعة،فمنطوق الحديث بدون الزيادة لا يشير إلى ذلك مطلقا لأن أياً من الصحابة الذين خاطبهم النبي ووجه كلامه إليهم بمن فيهم علي لم يقولوا ذلك ولم يقل واحد منهم ذلك،أما الشيعة فيجعلون ذلك الحديث أساسا في خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم.ويرى الباحث أن هؤلاء أحرار فيما يعتقدونه لكن لا ينبغي إرغام الآخرين من المسلمين ممن لا يعتقدون هذا الاعتقاد على الإيمان بصحته بالقوة.

ثم إن مدعي التشيع -كما يسميهم أحمد شلبي -يقولون:إن هذا التصرف من الرسول في غدير خم كان هو نهاية الفرائض،ولذلك نزل بعد ذلك قوله تعالى{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}[5]،وتولى الحسن بعد أبيه فكان بذلك أول إمام،ولم تنتقل الإمامة من الحسن

[1] القيامة آية17-19.
[2] المائدة آية67.
[3] (القاضي النعمان ،أساس التأويل الباطن،173أمخطوط،نقلا عن أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،،مرجع سابق،ص405.

[4] محمد الألباني،**سلسلة الأحاديث الصحيحة**،المكتب الإسلامي:دمشق وبيروت،ط2 ،1399هـ/1979م،ج4،ص330 حديث رقم1750.
[5] سورة المائدة،آية 3.

بعد موته لأولاده بل تولاها الحسين لأن الحسن تنازل لمعاوية عن الخلافة والسلطة،فانتقلت إلى الحسين فلما مات الحسين انتقلت الإمامة في ذريته لقوله تعالى{وأولوالأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}[1]. [2]

وقد رافق المبدأ المتعلق بالإمامة أربع مسائل نشأت نتيجة له وتلازمت معه،وهي:

1 -عصمة الأئمة.

يقول الإسماعيلية بعصمة الإمام والرسول،بل لعلهم لم يدينوا بعصمة الأنبياء إلا ليتاح لهم القول بعصمة أئمتهم [3]

"والعصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ بحيث لا يترك واجبا ولا يفعل محرما مع قدرته على الترك والفعل وإلا لم يستحق مدحا ولا ثوابا،أو قل إن المعصوم قد بلغ من التقوى حدا لا تتغلب عليه الشهوات والأهواء،وبلغ من العلم في الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطئ معها أبدا" [4]

2 -المهدية.

3 -الرجعة،وهي متعلقة بالمهدية.

4 -التقية،وهي ذات شأن عظيم عند أغلب فرق الشيعة خاصة الإثناعشرية والإسماعيلية.

والتقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة وأملتها عليهم بعض زعاماتهم هي:أن تقول شيئا وتضمر شيئا آخر،أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق الإسلامية وأنت لا تعتقد به ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك[5].

[1]سورة الأنفال،آية 76.
[2]أحمد شلبي،المرجع السابق،ص405-406.

[3]محمد كامل حسين،في أدب مصر الفاطمية،ص7 نقلا عن أحمد شلبي،مرجع سابق،ص407.

[4]محمد جواد مغنية،الشيعة في الميزان،مرجع سابق،ص38.
[5]موسى الموسوي،الشيعة والتصحيح،مرجع سابق،ص52.

ولأن التقية عند الاسماعيلية من المبادئ التي تقوم عليها دعوتهم ويستمر وجودهم فقد تكلم فيها كثير من الإسماعيلية قديما وحديثا لاعتمادهم عليها في إقامة المجتمع الذي يهدفون إلى إقامته،وفي هذا يقول مصطفى غالب متحدثا عن الحركة الإسماعيلية:"كانت في بادئ الأمر تدل على إحدى الفرق الشيعية المعتدلة،ثم صارت تهدف إلى تكوين مجتمع إسلامي قوي عماده التقية والتخفي،ونظامه يقوم على الإخاء والمودة،وربط الفرد بالمجتمع بوشائج قوية من المحبة والإخلاص والإيمان العميق"[1].

والباحث يتساءل عن أي مجتمع يتحدث الإسماعيليون هل المجتمع الخاص بهم دون غيرهم؟،أم المجتمع الذي يشمل كل المسلمين؟وكيف يمكن أن يكون مجتمعا قويا وهو يعتمد على التقية والتخفي؟!وما النظام الذي يهدفون قيامه على الإخاء والمودة؟هل النظام الذي جاء به الإسلام أم غيره؟،والأخوة والمودة التي يقولون إنهم يهدفون إلى تطبيقها،هل هي التي دعا إليها الإسلام أم غيرها؟وهل يقصدون تطبيقها على أبناء المجتمع المسلم بمختلف مذاهبهم وطوائفهم،أم يحصرونها في من كان إسماعيليا فقط؟،وهل يشترطون لتطبيقها أن يجعلوا كل أبناء المجتمع المسلم تابعين لدعوتهم حتى تتحقق هذه الأخوة والمودة؟وكيف يمكن لهم أن يقوموا بربط الفرد بالمجتمع بوشائج قوية من المحبة والإخلاص والإيمان العميق إذا كانت دعوتهم تختلف أو تتقاطع مع الدعوة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعموم الخلق؟.

أما تأثر الإسماعيلين بالعقائد والفلسفات والتيارات الفكرية الأخرى فهم يؤكدون انفتاح العقيدة الفاطمية الإسماعيلية على كل العقائد والتيارات الفكرية والفلسفية المعروفة،وأن دعاة الفاطميين قد درسوا الفلسفة اليونانية واستخدموها أداة في تكوين نظامهم الفكري ،كما درسوا الديانات القديمة"[2].

ويؤكد أحد الباحثين الاسماعيليين على أن الدعوة الفاطمية تقوم كثيرا على مباحث العلم والجدل والمناظرات،وبها استطاعت الدولة أن تنتشر في كثير من أنحاء العالم،وأنهم لم يكونوا أول الفرق الإسلامية التي نحت هذا المنحى بل قد سبقهم المعتزلة الذين استخدموا العلم في تفسير القرآن،واستخدام بعض النظم الفكرية اليونانية في تكوين نظام فكري خاص يتفق مع آرائهم الدينية وعقائدهم الإسلامية[3].

[1] مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،مرجع سابق،من مقدمة الطبعة الثانية،ص4.

[2] عارف ثامر،تاريخ الإسماعيلية(من المغرب إلى المشرق)رياض الريس للكتب والنشر:لندن وقبرص،ط1 ،19991م،ج2،ص184.
[3] حسين الهمداني،مرجع سابق،ص343.

ويؤكد الهمداني وجود فروق بين الاسماعيليين والمعتزلة مشيراً إلى أن الأسباب والطرق التي أدت إلى هذا العمل قد اختلفت من مزج الفلسفة بالدين وتطبيق العلم على العقيدة كما اختلفت نتائج محاولاتهم، فالعلماء المعتزلة أنفسهم اختلفوا في مطابقة المحسوس بالمعقول وأن عملهم هذا لم يكن لمجرد المتعة العلمية بل دفاعا عن حوزة الإسلام وأن الفلاسفة ما استطاعوا أن ينسوا العقيدة الإسلامية فأتوا في كثير من مباحثهم بكلام فلسفي ديني، وقد سلك الصوفية المسلك نفسه للوصول إلى غاياتهم[1].

ومع ما قد يكون بين الفرقتين من تشابه إلا أن المعتزلة مع تأثرهم بالفلسفة اليونانية لم تكن لهم عقيدة وأفكار غامضة غير مفهومة، ولم يكن لهم مرجع وحيد مقدس له العصمة وعنده وحده علم الباطن وعلم الغيب، ومسائل أخرى كثيرة يختلف فيها الفكر الاعتزالي عن الفكر الإسماعيلي، والمعتزلة لم يكونوا يمارسون عباداتهم ويطرحون أفكارهم على أتباعهم في سرية تامة وفي مجالس لا يحضرها سواهم كما يفعل الإسماعيليون.

ثالثاً :النظام الفكري المتعلق بالأساليب التي اتبعتها الإسماعيلية في اليمن في المرحلة الأولى للدعوة.

إن الدعوة والتربية الإسماعيلية في اليمن قبل قيام الدولة الصليحية مرت بمراحل ثلاث على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة التهيئة والتربية والإعداد والبناء، واتسمت بالستر والسرية.

المرحلة الثانية: مرحلة قيام الكيان السياسي، واتسمت بالإعلان والظهور والسيطرة.

المرحلة الثالثة:مرحلة الانكماش(مرحلة الستر الثاني)واتسمت بالسرية واستمرت كذلك إلى أن أعلن الصليحي قيام الدولة الصليحية.

المرحلة الأولى:مرحلة التهيئة والتربية والإعداد والبناء.

[1] المرجع السابق،الصفحة نفسها.

هذه المرحلة السرية هي أولى مراحل الدعوة في اليمن والباحث معني بالحديث المفصل عنها وكانت مرحلة تهيئة وتربية وبناء وإعداد مادي وبشري،ولذلك فإن دعاة الإسماعيلية عملوا بجد ونشاط على إنجاز المهام الرئيسية المهمة للدعوة،متبعين الطرق والأساليب التي رسمت لهم والتي تتمثل في الآتي:

أولاً:الاستقطاب أو ما يسميه الإسماعيلية جذب الأنفس وعملوا على تربية المستجيبين وفق عقائد ومبادئ الدعوة لتكوين القاعدة البشرية للدعوة.ومع الإعداد البشري يتم الإعداد المادي بجمع الأموال والسلاح وتحصين الحصون والقلاع.

كانت مهمة الدعاة الأولى استقطاب الأتباع وإقناعهم بالقبول بالدعوة ومبادئها وتربيتهم وإعدادهم تربية وإعدادا يهيؤهم للانتماء والاستعداد للعمل للدعوة والتفاني في خدمتها وتنفيذ التعليمات والأوامر من أجل السيطرة والحُكم،ويمكن القول أن هذه المرحلة قد بدأت باستقطاب علي بن الفضل في اليمن الذي كان على مذهب الإثناعشرية،مما يؤكد وجود الشيعة عموما والاثناعشرية خصوصا في اليمن في تلك الفترة،وأن وجود الإسماعيلية في اليمن قبل ذلك التاريخ ليس مستبعدا،وقد تم استقطاب ابن الفضل ليكون إلى جانب منصور بن حوشب الذي تم إقناعه بالذهاب إلى اليمن للدعوة للإمام الحسين بن أحمد الذي أخذ المواثيق على ابن حوشب وزوده بجملة من الأوامر والتعليمات ليلتزم بها أثناء أدائه المهام الموكولة إليه،وهي تعليمات وأوامر تعد منهجا سار عليه الداعيين وبدءا في تنفيذه فور وصولهما إلى اليمن،وتم إلزام ابن الفضل بهذه الأوامر والتعليمات التي زود ابن حوشب بها،علما أنهما خضعا لفترة إعداد استمرت عامين في العراق قبل أن يذهبا إلى اليمن ويبدءا في تنفيذ التعليمات وتطبيق المنهج الذي تم إلزامهما به وتدريبهما وتربيتهما عليه.

ولاشك أن الدعوة الفاطمية كانت تعتمد بدرجة أساسية في نجاحها في اليمن وكذلك في المغرب على أبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب كما يشير إلى ذلك قاضي قضاة الدولة الفاطمية عند حديثه عن ذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها حيث قال إن الذي جعله يبدأ بذكر هذه الدعوة (في اليمن)هو أنه أصل الدعوة التي قصد إلى ذكرها وإليها أرسل الداعي ومن اليمن نفذ إلى المغرب وعن صاحب دعوته أخذ وآدابه تأدب،ثم أشار إلى أن صاحب دعوة اليمن هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب،وسمي المنصور باليمن لما أتيح له من النصر،وكان إذا قيل له ذلك قال لهم:المنصور إمام من أئمة آل محمد صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول الشاعر:

إذا ظَهَرَ المنْصُورُ مِنْ آلِ أَحْمدٍ فَقُلْ لِبَنِي العبَّاسِ قُومُوا عَلَى رِجْلِ[1].

وتتفق مختلف المصادر اليمنية على أن علي بن الفضل كان من زعماء اليمن ومن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية،وقد توجه عام266هـ/880م إلى تأدية فريضة الحج وبعد ما زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعته نفسه إلى زيارة قبر أمير المؤمنين وقبر ابنه الحسين رضي الله عنهما بكربلاء فخرج من الصادرين من خارج العراق إلى هنالك" [2].

"ويبدو أن المهمة التي أوكل بها الداعيان كان مجهزا لها منذ مدة فلم يكن الانتظار سوى أمر تكتيكي من القيادة التي كانت في انتظار الوقت المناسب،وكان اتخاذ قرار إرسال دعاة إسماعيليين إلى اليمن منوطا بتهيئة داع إسماعيلي يعرف اليمن أرضا وسكانا معرفة جيدة،وقد تم لهم ذلك بانضمام علي بن الفضل للدعوة،فكان الرجل لتلك المهمة،كما يبدو أن ابن حوشب قد هيئ مسبقا للقيام بهذه المهمة،عند ذلك جمعت القيادة بين الداعيين فكان أحدهما أعلم من الآخر بتنظيم الدعوة وعقيدتها،وكان الثاني أعلم من صاحبه بسكان وأرض اليمن" [3].

وتعد التعليمات والأوامر عندهم من المبادئ وبمثابة المخطط المرسوم بدقة متناهية،وعلى الدعاة أن يتقيدوا به ويعملوا بكل جد على تنفيذه،وقد طلب من الداعيين تنفيذ التعليمات والأوامر فور وصول كل منهما إلى الجهة المكلف بالدعوة فيها،وفيما يلي عناوين التعليمات والأوامر التي تم إلزام الداعيين بتنفيذها دون الخوض في تفاصيلها:

[1] القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي قاضي قضاة الدولة الفاطمية(ت/363هـ)رسالة افتتاح الدعوة رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية،تحقيق:وداد القاضي،دار الثقافة:بيروت،ط 1، 1970م،ص32.

[2] سهيل زكار،الجامع في أخبار القرامطة،مرجع سابق،ج1،ص142.

[3] عادل سالم العبد الجادر،الإسماعيليون الدعوة والدولة في اليمن ، دون دار نشر،الكويت،ط 1، 2000م،ص49.

1- تحديد الجهة التي عليهما أن يقصداها ويستقر كل منهما فيها مع تأكيده لسبب اختيار اليمن وتلك المناطق تحديدا لتكون منطلقاً للدعوة،وفي ذلك يقول مخاطباً ابن حوشب:"إلى عدن لاعة فاقصد،وعليها اعتمد،فمنها يظهر أمرنا،وفيها تعز دولتنا،ومنها تفترق دعاتنا".

2- الاستتار.

3- الاعتماد على التأويل.

4- اتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق الغرض.

5- الحديث بين المدعوين عن قرب ظهور المهدي.

6- جمع المال والرجال.

7- الالتزام بالصوم والصلاة والتقشف.

8- العمل بالظاهر وعدم إظهار الباطن .

9- القول بأن لكل شيئ باطنا.

10 -إن ورد عليه شيئ لا يعلمه أن يقول:لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره"[1].

كانت الأوامر والتعليمات هي المنطلقات التي سارت عليها الدعوة الإسماعيلية في اليمن وفي غيرها من الأماكن والبلدان(الجزر) التي انتشرت فيها،وكانت ضمن المنهج الثابت الذي يسيرعليه الدعاة أينما وجدوا.

ويظهر أن تحديد منطقتين في اليمن دون سواهما يشير إلى أمور عدة:

أ -وجود أتباع أو أشياع لهذا المذهب فيهما حيث كانتا النواة الأولى للإسماعيلية في اليمن.

ب -لأنهما منطقتان لا وجود فيهما لأي دعوة أو مذهب أو فكر معارض،فهما أرض بور.

ج -انتشار الجهل فيها أكثر من غيرها.

إن اختيار أماكن تتوفر فيها هذه المواصفات أمر ركزت عليه الإسماعيلية في نشر فكرها كما يظهر ذلك في اختيار المغرب بتحديد منطقة محددة لانطلاق الدعوة منها لنفس الأسباب التي تم اختيار اليمن للدعوة

[1] حسين الهمداني،مرجع سابق،ص31بتصرف.

فيها حيث كان الخطاب للداعيين اللذين أرسلا إلى المغرب هو:(بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثا حتى يجيء صاحب البذر)كما أوصاهما الإمام أيضا بأن يبسطا ظاهر علم الأئمة وينشرا فضلهم،وأمرهما أن يجاوزا أفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية[1].

وفيما يتعلق باليمن فإن هذا الاختيار والتحديد لموضعين أو جهتين فيه إشارة إلى أن الإسماعيلية انتشرت أولاً في أوساط الشيعة الإثناعشرية في كل من عدن أبين الواقعة في الجنوب الشرقي،وعدن لاعة الواقعة في الشمال الغربي من اليمن [2].

ويعزز هذه الرؤية ما ورد من إشارات في بعض المصادر والمراجع الإسماعيلية وغيرها من أن ترتيبا سريا قد جرى لإرسال علي ابن الفضل إلى العراق لمقابلة قادة الإسماعيلية هناك،وأن ذلك لم يكن مبادرة ذاتية من علي بن الفضل،وأن الهدف من زيارة العراق هو المقابلة،ومن أجل أن يقف على تفاصيل ما عليه أن يقوم به،بعد أن يتلقى مبادئ الإسماعيلية من المصدر،وتؤكد تلك المصادر على أن الزيارة كان مرتبا لها مستدلة بانتظار الداعي الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح مجيء ابن الفضل،وأنه قد تحدث مع ابن حوشب عن هذا الأمر قبل وصول ابن الفضل،وجمعه بين ابن الفضل وابن حوشب وتزويدهما بالتعليمات اللازمة،وبقائهما في العراق عامين من أجل أن ينالا قسطا كافيا من الإعداد والتربية يتمكنا بعدها من القيام بالمهمة التي كلفا بها،حيث كانت المقابلة في عام266هـ و كان بعثهما إلى اليمن عام268هـ [3].

ويذكر أن ابن حوشب كان قد "قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه على مذهب الاثنا عشرية،غير أن صدره ضاق من طول انتظار الإمام المنتظر فتحول عنها إلى مذهب الإسماعيلية" [4].

[1] يوسف حوالة،الحياة العلمية في أفريقية،مرجع سابق،ج2،ص62-63).

[2] الشجاع،مرجع سابق،ص158.

[3] النعمان،افتتاح الدعوة،مصدر سابق،ص44،45،مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،مرجع سابق ،ص152-157، محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري،كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة،حققه وعلق حواشيه:محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي،مركز الدراسات والبحوث اليمني:صنعاء،ط 1، 1415هـ/1994م ،ص42، عبد الرحمن الشجاع،مرجع سابق،ص158.

[4] محمد الوجيه،الحركة الإسماعيلية في اليمن،مرجع سابق،ص34.

إذن فابن الفضل قد"تشرب الميول الشيعية على المذهب الاثناعشري الذي وصلت أخباره إلى اليمن عن طريق الدعاة الذين يمارسون التجارة،لكن هل اعتنق الإسماعيلية قبل خروجه من اليمن إلى العراق؟يذهب بعض المؤرخين إلى أن ابن الفضل كان من شيعة الإمام الإسماعيلي المستور المقيم باليمن،ويذكر المقريزي إنه كان باليمن من هذا المذهب كثير بعدن في قوم يعرفون ببني موسى،وهذا يعني أن ابن الفضل كان إسماعيلي المذهب قبل خروجه من اليمن إلى الكوفة،لكن لا يمكن الجزم بذلك لإجماع المصادر الإسماعيلية وغير الإسماعيلية على أن ابن الفضل كان اثنا عشريا[1].

ثانيا:تطبيق المنهج الإسماعيلي التربوي والدعوي في اليمن في مرحلة التهيئة والتربية والبناء والإعداد.

تم تزويد الداعيين بتعليمات وأوامر كانت لهما منهجا سارا عليه وعملا على تطبيقه نصا وروحا دون زيادة ولا نقصان،كل في الجهة التي كلف بالعمل والاستقرار فيها.وقد تمكنا من الوصول إلى تحقيق الهدف المرسوم لهما بعد جهود حثيثة وعمل دؤوب متواصل ودقة في التنفيذ للتعليمات المحددة لهما.

كان ذلك العمل الدعوي والتربوي الذي سبق إعلان الدولة هو الذي مهد لقيامها وإعلانها ولولاه لما تحقق من ذلك شيئ،وكان هذا الجهد القائم على السرية المحكمة يرتكز في المقام الأول على دغدغة عواطف الشيعة الإثناعشرية في الأساس،حيث عمل الداعيين على استقطاب الكثير من هؤلاء إلى فكرهم وتوجهاتهم،وجعلا منهم النواة الأولى للإسماعيلية في اليمن؛وتحديدا في المنطقتين اللتين حدد للداعيين العمل بها فمن هاتين المنطقتين خرجت الإسماعيلية في اليمن [2].

الأساليب الدعوية والتربوية المتبعة لإنجاح الخطة:

في مرحلة الإعداد والتهيئة هذه اتبع الداعيان أساليب متنوعة لإنجاح الخطة المرسومة،مع الالتزام الدقيق بالسرية المحكمة عملا بالتعليمات وتنفيذا للمبادئ التي رسمت وحددت مسبقا وفقا لمنهج الإسماعيلية الباطنية الذي يعتمد في الدعوة والتربية بشكل أساسي على السرية التامة،وفيما يلي الخطوط العريضة

[1] محمد الوجيه،المرجع السابق،ص36.
[2] عبد الرحمن الشجاع،مرجع سابق،ص158.

للمنهج أو يمكن تسميتها بالنقاط الرئيسية للمنهج الذي حدد للداعيين في اليمن وهي تتضمن أساليب التنفيذ:

1 -اتخاذ الداعيين الدين وسيلة لنشر الدعوة وكسب الأتباع وتوسيع النفوذ.

2 -إظهارهما الزهد والتنسك والتقشف والصلاح سبيلا إلى قلوب الناس بهدف الوصول إلى الهدف النهائي.

3 -إظهارهما التفقه في الدين والتضلع في فقه المذاهب السنية.

4 -قيامهما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5 -إظهارهما الرغبة في العزلة عن الناس فلا يأتيهما إلا المريدون لهما حتى يتمكنا من سلب عقول الناس ويصلا إلى مرحلة يثق الناس بهما ثقة كبيرة.

6 -بعد كسب محبة الناس يتدخل الداعيان وأتباعهما في حل مشاكل الناس وحل قضاياهم ويصبحون هم وجهاء تلك المناطق التي يتواجدون فيها.

7 -استغلال تجمعات الناس حولهم فيدفعونهم إلى بناء الحصون وإعداد القوة والسلاح وتدريب المقاتلين.

8 -الاصطدام والمواجهة المسلحة مع القوى القبلية من حولهم سواء كانت تابعة للدولة العباسية أو مستقلة عنها،وكانت هذه القوى ضعيفة مما سهل على الإسماعيلية القضاء عليها بسرعة وضمها إليهم.

وكانت النتيجة هي السيطرة على مناطق كثيرة في فترة وجيزة،وإعلان الكيان السياسي الأول للإسماعيلية في اليمن.

الأساليب السابقة ترتكزعلى اتخاذ الدين وسيلة لنشر الدعوة وكسب الأتباع،تبين أن الدين عندهم ليس غاية وإنما وسيلة للوصول إلى الحكم والسيطرة والغلبة والمال وتطبيق المبادئ والمعتقدات في العلن،وبهذا التطبيق العلني للمبادئ يكون قد تحقق الهدف الذي رسمه مهندس الدعوة ومنظمها الأول.

في إطار الدين والتمظهر به يتمكنوا من تحقيق أهدافهم،فيظهرون التمسك بالدين،ويظهرون للناس أنهم من أهل الزهد والصلاح،ويظهرون لهم التفقه بمذاهب السنة،ويقومون بتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ذلك لإقناع العامة أنهم يطبقون مبادئ الإسلام من أجل كسب ثقتهم ومحبتهم ونيل رضاهم،ومن ثم توظيف هذه الثقة والمحبة في تبوؤ مكانة متميزة لدى القبائل للوصول إلى مراكز النفوذ والأمر والنهي فيها بهدف توجيه الناس إلى دفع الأموال وبناء الحصون وشراء السلاح استعدادا للمواجهة مع الخصوم.

وبعد أن ينفذ الدعاة التعليمات بدقة وبعد تحقيق الأهداف المرسومة يظهرون الوجه الحقيقي والأهداف الحقيقية من التدين ومن التظاهر بالصلاح،فغايتهم الوصول إلى الحكم ومن ثم تسخيره في نشر الدعوة وكسب مواقع جديدة وأنصارا جددا.

دور الدعاة في تنفيذ التعليمات:

إن التعليمات التي تم تزويد وإلزام الداعيين بها واتباعهما تلك الأساليب في تنفيذ التعليمات التي ما كان لها أن تنفذ وأن تحقق تلك النتائج ما لم يكن قد سبقتها مرحلة إعداد وتربية للدعاة أولا باعتبارهم عماد تنظيم الدعوة وتنفيذها،ثم تربية المستجيبين أو المؤمنين،من قبل الدعاة وأعوانهم،وفي كلا الحالتين من التربية كان لا بد من أن يسبق ويرافق عملية التربية والتهيئة والإعداد وجود كفاءات وقدرات مؤهلة ومعدة ومهيأة لهذه المهام والوظائف التي تتطلب صبرا وجهدا وعملا دءوبا في الدعوة والإقناع ثم في التربية للمستجيبين الذين اقتنعوا بالفكرة؛خصوصا إذا علم أن مرحلة الإعداد والتهيئة والاستقطاب والتربية امتدت اثنان وعشرون عاما حتى عام 290هـ عام إعلان الدولة الإسماعيلية[1].

مميزات الدعوة والتربية الإسماعيلية في المرحلة الأولى:

الدعوة والتربية الإسماعيلية في هذه المرحلة اتسمت بمجموعة من المميزات منها:

[1] انظر:الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للهمداني،مرجع سابق،ص33،وتاريخ اليمن في الإسلام للشجاع،مرجع سابق،ص59 بتصرف.

1 - أنها كانت مرحلة إعداد للدعاة قبل أن تكون مرحلة استقطاب للمدعوين الأمر الذي تطلب عدم الاستعجال في الأمرين معا؛بل تطلب الصبر والتأني من أجل الوصول إلى الهدف،وعدم الاستعجال يمكن ملاحظته في كل مراحل الدعوة الإسماعيلية.

2 - تميزت بالسرية المحكمة جدا أكثر من غيرها من المراحل،مع أن السرية أو الاستتار مبدأ أساس من مبادئ هذه الدعوة في كل الظروف والأحوال وفي كل زمان ومكان،حتى في ظل وجود نظام سياسي حاكم يؤمن بهذه الدعوة ويحميها ويدافع عنها ويقوم بنشرها.

3 - استخدام أساليب متنوعة لتنفيذ وإنجاح الخطط المرسومة.

المرحلة الثانية:قيام الكيان السياسي (مرحلة الإعلان والظهور والسيطرة).

يظهر أن الداعيين لم ينتقلا من العمل السري إلى العمل العلني إلا بعد أن أصبح لكل منهما جماعة كبيرة تأتمر بأمره وتخلص له أشد الإخلاص و"إنه من الطبيعي في مثل هذه الأحوال أن يصبح هم كل منهما الحصول على الأموال الكافية لتنفيذ الأغراض،ونشر المبادئ والأفكار،والاستيلاء على المراكز الهامة والمواقع الحساسة،وهو ما قاما به"[1].

وبالفعل ظهرت الدعوة إلى الإسماعيلية في اليمن على يد الحسن بن فرج بن حوشب(ت/302هـ)ورفيقه علي بن الفضل الجيشاني(ت/303هـ)حيث تمكنا من إقامة أول كيان سياسي للإسماعيلية بر.

ومن الواضح أن التخطيط والتهيئة والإعداد وترتيب الأولويات كانت مبادئ يسير عليها دعاة الإسماعيلية أينما كانوا في اليمن أو في المغرب أو في أي مكان يكون لهم فيه وجود دعوي،ففي المغرب رأى أبو عبد الله الشيعي بعد أن اطمأن إلى النجاح الكبير الذي حققته الدعوة الإسماعيلية بين بربر كتامة وغيرهم أن ينتقل

[1] عارف ثامر،تاريخ الإسماعيلية،ج1 ،مرجع سابق،ص273-274.
[2] محمد رضا الدجيلي،الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري،منشورات مركز دراسات الخليج العربي لجامعة البصرة شعبة دراسات العلوم الاجتماعية،دون طبعة،1405هـ/1985م،ص27.

بالقضية من مرحلة الدعوة والإعداد إلى مرحلة المواجهة المسلحة مع القوى السياسية الكبرى في المغربين الأوسط والأدنى وصولا إلى تحقيق الهدف المنشود وهو إقامة الدولة الفاطمية هناك[1].

إن نشر الفكر الشيعي الإسماعيلي في اليمن كما في غيرها من البلدان لم يكن أمرا سهلا وميسرا ،بل كان صعبا ومحفوفا بالمخاطر،وأن ما واجهه نشر الفكر الشيعي الإسماعيلي من صعوبات ومخاطر في المغرب وفي مصر هي نفس الصعوبات والمخاطر التي واجهها في اليمن لأن غالبية أبناء المغرب ومصر وكذلك اليمن لم تكن راغبة في هذا الفكر،ففي المغرب لم تصمد دولة العبيديين طويلا بعد أن عرف أهل المغرب حقيقة الدعوة وحقيقة فكرها ومذهبها ومبادئها.

كما أن قيام الدولة الفاطمية في مصر لم يكن برغبة من المصريين بل كان استسلام المصريين تبعية سياسية لا خضوعا يتصل بالعقيدة والمذهب،ولذلك وجدنا هذا الشعب المغلوب يطلب من جوهر الصقلي قائد الفاطميين الذين دخلوا مصر أن يكتب لهم وثيقة يعلن فيها الحق المطلق للمصريين في الاستمرار على مذهبهم الديني الذي يرتضونه،وأنه لن يكون هناك أي ضغط من هذه الجهة على ميول الناس ومعتقداتهم،وقد هدد المصريون بالمقاومة إن لم تتحقق لهم هذه الرغبة،وقد منحهم جوهر الصقلي هذه الوثيقة المفصلة التي يقول فيها:"...وذكرتم وجوها التمستم ذكرها في كتاب أمانكم فذكرتها إجابة لكم وتطميناً لأنفسكم،وهي إقامتكم على مذهبكم وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين بعدهم،ومن فقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم..." [2].

وكانت خطة الفاطميين في غرس مذهبهم في مصر تشمل مرحلتين:المرحلة الأولى مرحلة التعليم والتشريع،والمرحلة الثانية مرحلة الدعوة السرية،وهاتان المرحلتان اتضحتا من السجل الذي صدر عن الخليفة الفاطمي بتوليته داعي الدعاة في كلام طويل،نقتبس منه الفقرتين الآتيتين :

الفقرة الأولى:

[1] يوسف حوالة،مرجع سابق،ج2،ص64.

[2] المقريزي،اتعاظ الحنفا،ص67-70،نقلا عن أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،مرجع سابق،ص399.

"وخذ العهد على كل مستجيب راغب،وشد العقد على كل منقاد ظاهر ممن يظهر لك إخلاصه ويقينه،ويصح عندك عفافه ودينه..."[1].

الفقرة الثانية:

"واتل مجالس الحكم التي تخرج إليك من الحضرة على المؤمنين والمؤمنات،والمستجيبين والمستجيبات في قصور الخلافة الزاهرة،والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة،وصن أسرار الحكم إلا عن أهلها،ولا تبذلها إلا لمستحقها،ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله،ولا تستقل أفهامهم بتقبله،واجمع من التبصر بين أدلة الشرائع والعقول،ودل على اتصال المثل بالممثول.. بر.

وعلى هذا النحو سار داعي الدعاة ونوابه،فهم يُدَرِّسُوْنَ في الجهر علوما وتشريعات عامة مع لمحات حول المذهب الشيعي،حتى إذا عثروا بين جماهير المستمعين على مستجيب للدعوة الشيعية راغب في الاستزادة من علومها وأفانينها نقلوه من المجالس العامة إلى المجالس الخاصة،ومن علوم الجهر إلى علوم السر.

علما أنهم في العلوم السرية لا يطلعون المستجيب عليها دفعة واحدة بل يتدرجون به من مرتبة إلى مرتبة من مراتبها التسع،ولا ينقلونه من واحدة إلى أخرى إلا إذا تقبل السابقة وهضمها،فإذا انتهى من المراتب التسع يكون قد وصل إلى أعلى درجات التشيع وأسمى مراتبه تر.

إن هذه الطريقة التي كانت متبعة في عاصمة دولة الخلافة الفاطمية القاهرة هي الطريقة ذاتها التي كانت متبعة في اليمن وفي غيرها من البلدان أو الجزر التي كان للإسماعيلية وجود فيها باستثناء المجالس العامة التي كان يعقدها داعي الدعاة ونوابه،فلم يكن باستطاعة الدعاة في الجزر أو البلدان التي تنتشر فيها الدعوة ومنها اليمن أن يعقدوا مجالس عامة مفتوحة،نظرا للعداء الكبير والواضح الذي كان يبديه كل أتباع المذاهب الأخرى ضد الإسماعيلية حتى من الزيدية الذين هم شيعة في الانتماء العام .

[1] أحمد بن علي القلقشندى،**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،المؤسسة المصرية العامة:القاهرة،دون طبعة،دون تاريخ،ج10،ص436.

[2] المصدر السابق،ج 10،ص 437).
[3] أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،مرجع سابق،ص400.

لم يكن السبب الذي منع الاسماعيليين في اليمن من عقد المجالس العامة في المساجد والمدارس والأماكن العامة هو عدم وجود نظام حاكم أو دولة تحميهم وتدعمهم وتقوم بنشر أفكارهم،فقد قامت لهم دولة -وإن كانت فترتها قصيرة -ومع ذلك لم يتمكنوا من أن يفعلوا ما فعله الفاطميون في مصر،إلا الانفراد بالسلطة والاستحواذ على المناصب واحتكارها في أتباعهم حالهم في ذلك حال الأنظمة العربية التي تدعي تبني التعددية السياسية والحزبية،فما إن يصل أي حزب إلى السلطة حتى يحكم السيطرة على كل مفاصل الدولة ومؤسساتها ويسخر كل إمكاناتها ومقدراتها لخدمة الحزب والمقربين والمتملقين،وقد يسمح للأحزاب المعارضة بمشاركته في السلطة لكن في المناصب والوظائف غير القيادية،وتظل تطالب بالمشاركة في السلطة والثروة،وبتطبيق مبدأ التداول السلمي للسلطة،ويظل الشعب مالك السلطة والثروة خارج اهتمام الأحزاب الحاكمة والمعارضة.

هذا الكلام سطره الباحث قبل أن تاتي رياح التغيير التي اجتاحت عددا من الأنظمة التي تسلطت على شعوبها زمنا طويلا في بعض البلاد العربية،وفتحت باب الأمل للشعوب في إمكانية تبدل حالها إلى الأفضل،وهي حتى الآن ما تزال منتظرة وكلها أمل وتفاؤل أن يتغير حالها سريعا.

وبالعودة إلى الإسماعيلية فإنهم لم يتمكنوا من نشر مذهبهم علنا في اليمن إلا في مناطق محدودة حتى بعد أن قامت لهم دولة لأن الباحث لم يجد في مصادرهم ما يشير إلى غير ذلك،كما لم تشر تلك المصادر إلى وجود مدارس أوأماكن للتعليم خاصة بتعليم المذهب الإسماعيلي،وإن وجدت فقد كانت في نطاق ضيق ومحدود ولأتباع تلك الفرقة دون السماح لغير المنتمي أن يحضر هذه المجالس أو الحلقات التي كانت تتم في هذه المدارس أو الأماكن،بل إن هذه المدارس إن وجدت لم يكن يعلم مكانها أحد من غير الاسماعيليين .

وربما حاول الحكام الاسماعيليين في اليمن فرض مذهبهم على المجتمع بالقوة –ولم يتمكنوا - ليس لأنهم لا يريدون استخدام القوة ضد المخالفين الذين هم أغلبية ساحقة،ولكن فيما يبدو أنهم أدركوا مغبة القيام بإرغام الناس على الدخول في مذهبهم،لأنهم كانوا حريصين أشد الحرص على أن لا يطلع على علومهم وأفكارهم التي تتضمن المبادئ التي تقوم عليها دعوتهم إلا من استوثقوا منه واطمأنوا إلى ولائه وإخلاصه وصدق انتمائه لدعوتهم،وقد ثبت تاريخيا أنهم احتكروا الوظائف الكبيرة والمتوسطة في الدولة فكانت خالصة لهم ومن تلك الوظائف القضاء.

ويبدو من وجهة نظر الباحث أن عدم قيام الإسماعيلية بنشر أفكار دعوتهم ومبادئها في اليمن علناً يعود أولاً إلى اعتمادهم السرية مبدءاً أساسيا في دعوتهم،إضافة إلى تمسكهم بعدد من الأفكار والمعتقدات المخالفة للإسلام مما جعل الدعوة محاطة بالريبة والشك والنفور والعداء،كما أن عدم إقدامهم على نشر أفكار الدعوة ومبادئها علنا إنما يعود ثانيا -فيما يظهر -إلى أنهم قد أخذوا في حسبانهم ما قد يسفر عنه هذا التصرف من نتائج سياسية واجتماعية ودينية تجاه دولتهم ودعوتهم،ويظهر أن ما قام به ابن الفضل حين أعلن الظاهر وما نتج عن ذلك من ردود أفعال في اليمن من أتباع الدعوة الذين يمثلهم ابن حوشب ومن يرى رأيه،أو من مخالفيها وهم عامة أهل اليمن وعلمائهم خاصة،ومن قيادة الدعوة التي كانت في المغرب آنذاك،كل ذلك أخذ في الحسبان لدى الحكام الاسماعيليين ودعاة الدعوة فيما بعد.

هذا الاستنتاج الذي توصل إليه الباحث مما توفر لديه من معلومات من مصادر إسماعيلية وغيرها؛إلا أن توجد مصادر لم يطلع عليها الباحث تثبت أنهم كانوا يقومون بنشر أفكارهم في المساجد العامة،وكانوا يسمحون للآخرين بحضور المجالس الخاصة التي كانوا يعقدونها فهذا أمر آخر،وفي حال وجود تلك المعلومات فإنها سوف تفتح آفاقا للباحثين لمعرفة المؤسسات التعليمية الخاصة للإسماعيلية في اليمن،ومعرفة الطرق والأساليب والوسائل والمعارف التي كانت تعلم للصغار إذ لا توجد معلومات تتحدث عن تخصيصهم كتاتيب أو أماكن لتعليمهم أو مقررات دراسية محددة لهذه المرحلة،أو تحديد سن معينة للمتعلم عند التحاقه أو انتهائه من التعلم،ويقين الباحث هو عدم وجود مثل هذه الأماكن التي يمكن للعامة من غير أتباع هذه الفرقة الوصول إليها والوقوف على ما يدور فيها من أفكار أو تعليم أو حوارات،أما تخصيص أماكن خاصة سرية لا يعرفها إلا أتباع الدعوة فأمر كان قائما ،وهو يتساوق مع السرية الشديدة التي تعد أبرز سمات هذه الدعوة .

أما الشروط المطلوب توفرها في المستجيب فتشير بعض المصادر الإسماعيلية إلى أن الدعوة تشترط فيمن ينتمي إليها الإيمان بالمبادئ والمعتقدات الإسماعيلية،والطاعة الكاملة والانقياد التام للداعي،والتسليم والتنفيذ الكامل لكل ما يقوله الإمام أو من يقوم مقامه من الدعاة دون تلكؤ أو تساؤل،فإذا توفرت تلك الشروط في الشخص الراغب في الانتماء إلى الدعوة عندها تؤخذ منه العهود والمواثيق بالإخلاص للدعوة وعدم إفشاء أسرارها لأي سبب كان،ويظهر أن هذا يعد أهم الشروط عندهم،وأخذ العهد من المستجيب هو أول أبواب الولوج إلى الدعوة،وعند أن يصبح واحدا من أتباع الدعوة يكون أهلا لأن يلقن آداب الدعوة في أماكن

التعليم أو الملتقيات الخاصة بهم بعد التأكد من قبل الداعي المكلف بعملية الاستقطاب من أن هذا العضو الجديد جدير بالثقة وأهل للأمانة وتحمل المسؤولية فيمكن من الاطلاع على بعض علوم التأويل(الباطن)عندما يبدأ في الارتقاء في المراحل التي حددتها الدعوة.

رابعاً:الأسباب التي جعلت الدعوة الإسماعيلية في اليمن تعود إلى السرية مرة أخرى.

لم تسر الأمور بين الداعيين الإسماعيليين ابن حوشب وابن الفضل كما يريد الإسماعيليون،إذ ما لبثت أن حدثت بينهما خلافات كان لها أثر سيئ على الحركة الإسماعيلية في اليمن وخارجها أدت إلى انشقاق في صفوفها وكان سببا في إضعافها.

والمعلوم أن الداعيين كان لهما دور كبير في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن والبحرين واليمامة والسند والهند ومصر والمغرب،حيث قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب بفضل جهود دعاة اليمن من أمثال ابن حوشب وابن الفضل وغيرهما من الدعاة اليمنيين.

وكان للخلاف الذي حدث بين الداعيين أثر سلبي كبير على الدعوة في اليمن حيث تعرضت لخطر جسيم بسبب النزاع الذي نشب بينهما،وكان سببه خروج علي بن الفضل عن تعاليم الدعوة ومحاربته لابن حوشب الذي استمر في ولائه ولم يستجب لابن الفضل الذي طلب منه متابعته مما دفع ابن الفضل إلى أن يضرب حصارا عليه في مسور استمر نحوا من ثمانية أشهر[1].

من الباحثين من يرى أن علي ابن الفضل قد أظهر الباطن (القرمطة)وتزامن إظهار الباطن وإعلانه في اليمن مع ما كان يدور وسط قيادة الحركة الإسماعيلية من خلاف حول إمكانية إظهار الباطن أو السير على ما هم عليه،ويبدو أن قيادة الإسماعيلية في المغرب لم يكن في وسعها أن تظهر الباطن ذلك إنها إنما تمكنت من بسط سلطانها على المغرب تحت شعار الزهد والتنسك وكذلك تمت السيطرة للإسماعيلية في اليمن عن طريق إظهار الزهد والتنسك،ولذلك أعلن علي بن الفضل عدم رضاه بما يقوم به الإمام في المغرب

[1] حسن إبراهيم حسن،**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**،دار إحياء التراث العربي،دون بلد نشر،ط 1، 1967م،ج4،ص197.

مستغلاً طموحه الشخصي وما حققه من انتصارات على القوى الموجودة في اليمن وكان يطمح أن يكون ابن حوشب معه في هذا الاتجاه غير أن ذلك لم يحصل[1].

هناك من يرجع أسباب الانشقاق الذي حصل من ابن الفضل إلى طموحه الشخصي مستغلاً ما حققه من نصر، وهناك من يرى أن ما فعله ابن الفضل إنما يرجع إلى أن عبيد الله المهدي بعد أن تسلم شؤون الإمامة وضع ثقته بابن حوشب دون ابن الفضل وخصه بعاطفته وثقته، وأناط به تعيين الدعاة في الأقاليم واعتبره المسئول الأول عن الدعوة في اليمن، وأن هذا كان من الأسباب الرئيسة التي حفزت ابن الفضل على الخروج ثم الدخول في حرب مع ابن حوشب[2]، ومن المؤرخين من يرى أن أسباب الانشقاق عديدة منها:

1 - الانشقاق الذي حصل في القيادة الإسماعيلية نفسها وأدى إلى قتل أبي عبد الله الشيعي عام298هـ/910م.

2 -الغرور القبلي الذي صاحب ابن الفضل جراء نشوة النصر.

3 -وجود القدوة له حيث قام بمثل هذه الخطوة قبله أبو سعيد الجنابي في البحرين عام286هـ/899م الذي أقدم على إعلان الباطن متمرداً أو خارجاً على خطة العمل الإسماعيلية التي ترى أن يكون العمل من خلال الظاهر دون كشف الباطن، وبالتالي فإن الجناح القرمطي الذي يمثله الجنابي وابن الفضل أراد كشف الباطن والعمل به، علما أن القرمطة جزء من الإسماعيلية دون فرق بينهما إلا أن القرمطة أكثر حماسا لتطبيق مبادئ الإسماعيلية غير المكشوفة للناس، وقد حاول عبيد الله المهدي التدخل في حل الخلاف بين ابن الفضل وابن حوشب والحيلولة دون كشف المبادئ الإسماعيلية(الباطن)وأرسل لأجل ذلك رسولا إلى اليمن غير أن رسوله لم يفلح في مهمته لأنه عندما وصل إلى اليمن وجد أن القوم قد أظهروا الباطن ولم يعد من سبيل إلى رأب الصدع " تر(

[1]انظر:تاريخ اليمن في الإسلام حتى القرن الرابع للشجاع،مرجع سابق،ص161،بتصرف،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي لحسن إبراهيم،مرجع سابق،ج4،ص197.

[2](عارف ثامر،تاريخ الإسماعيلية،مرجع سابق،ج1،ص273.

[3] عبد الرحمن الشجاع،مرجع سابق،ص161-162.

ولو ثبت أن أحد أسباب الانشقاق الذي حصل هو إعلان ابن الفضل للباطن أو كشفه له فإن ذلك يعني أن الاتهامات التي نسبت لابن الفضل صحيحة تلك التي ذكرها أعداؤه من السنة والزيدية وحتى الاسماعيليين أنفسهم أثبتوها عليه وتبرؤوا منه بسببها كما يقولون.

والباحث يذكر استنتاجات توصل إليها باحثون ومؤرخون محققون استنادا إلى وقائع وأحداث ورؤى تاريخية ،فالإسماعيليين المحدثين يثبتون من خلال مصادر إسماعيلية أن هذه الطائفة قائمة على عقيدة فلسفية متطورة تعتمد الباطن على الظاهر فالباطن هو الحقيقة وهو ما يحيا به الخواص،وتعد الظاهر هو الشريعة وهو ما يسير عليه العوام،وكل ظاهر عندهم له باطن،لذلك أولوا كل مبادئ الإسلام تأويلا باطنيا ،وهو ما جعلهم يخرجون بعقيدة خاصة بهم ظاهرة تنطق بها كتبهم[1].

ومن المؤكد أن هذا التأويل من الإسماعيلية لكل شرائع الإسلام ومبادئه وأحكامه،ولكل ماله صلة بالإسلام،وإعلان ابن الفضل لمبادئ إسماعيلية لم يكونوا يرون أن الوقت مناسب لإعلانها هو الذي جلب عليه العداوة والبغضاء من كل الفرق والمذاهب حتى من الإسماعيلية نفسها.

ومن الباحثين من يرى أن تلك الروايات التي تتحدث عن استباحة ابن الفضل للمحرمات وادعائه للألوهية قد يكون فيها نوع من المبالغة وعدم الواقعية على اعتبار أن المجتمع اليمني لا يمكن أن يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة أو أكثر لو كان قد ارتكب في أواخر عهده كل هذه الفواحش،ولو سلمنا بارتكابه للمحرمات فكيف تمكن ابن الفضل أن يدعي لنفسه الألوهية والنبوة والمهدية في آن واحد دون أن يلاقي أي معارضة من الجماهير السنية الكثيرة في الأماكن القريبة من المذيخرة والمحيطة بها [2].

ويشير بعض الباحثين الإسماعيليين إلى أن الدعوة الإسماعيلية خلال سيرها الطويل قد لاقت من الظلم والاضطهاد والعسف ما لم تلاقه دعوة أخرى،ويرى أن سبب ذلك يعود إلى ما أحدثته الدعوة من تأثير في

[1] عبد الرحمن الشجاع،المرجع السابق،ص163.
[2] محمد الوجيه،مرجع سابق،ص88-90.

الأوساط الإسلامية ولما كان يتميز به دعاتها وعلمائها من مقدرة علمية فائقة وحنكة سياسية في تغذية الحركات الفكرية الثورية في العالم الإسلامي[1].

وهذا الدفاع عن الدعوة ممن يحمل فكرها أمر مبرر،ولكن إلى أي مدى يتطابق مع الحق والحقيقة،فالدعوة قد تعرضت للاضطهاد والعسف من أتباع جميع المذاهب، فما سبب تعرضها لذلك الاضطهاد والعسف؟هل سببه الرأي الحر والفكر المستنير الذي لا يخالف الإسلام الصحيح؟أو تبنيهم لمبادئ وأفكار وعقائد مخالفة لمبادئ وأفكار وعقائد الإسلام،أوتأويلهم لكل المعاني والآيات والشرائع والأحكام تأويلا لا يتفق مع الإسلام ولا مع القرآن،ولا مع اللغة،ولا يقرها العقل ولا المنطق ولا الذوق ولا الفطرة السليمة؟.

وبالعودة إلى التهم التي نسبت لابن الفضل وبالرجوع إلى بعض المصادر غير الإسماعيلية حول هذه المسألة نجد أنها قد أثارت التهم صراحة حول علي بن الفضل حيث اتهمته تهما ثلاث خطيرة وهي:

الأولى:ادعاء النبوة.

الثانية:إسقاط الفروض الإسلامية أو تعديلها.

الثالثة:استباحة المحرمات.

وهذه التهم تجعل الباحث يطرح تساؤلا مفاده:هل ثبتت هذه التهم على ابن الفضل فعلا أم إنها من وضع أعدائه وأعداء الإسماعيلية معا؟ [2].

من المؤرخين من يرى أن تلك الدعاية إنما أثارها ضد ابن الفضل الزيدية والإسماعيلية والمجتهدين اليعفريين والزياديين،وأنها راجت بين الدهماء وامتدت إلى اليوم،وهي لا وجود لها ولا يقبلها الذوق،ويرجع

[1] مصطفى غالب،في مقدمة تحقيقه لكتاب دامغ الباطل وحتف المناضل للداعي علي بن الوليد(الداعي المطلق)،تقديم وتحقيق:د.مصطفى غالب،مؤسسة عز الدين:بيروت،دون طبعة،دون تاريخ، ج1،ص10.

[2] انظر هذه التهم على سبيل المثال لا الحصر في: **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**،الطيب بن عبد الله بامخرمة،تحقيق عبد الغني الأهجري،وزارة الثقافة والسياحة:صنعاء،1425هـ/2004م،،ج1ص1382،طبقات فقهاء اليمن للجعدي،مصدر سابق،ص75،غاية الأماني ليحي بن الحسين،،مصدر سابق،ص197،كشف أسرار الباطنية للحمادي،،مصدر سابق،ص64-69،الخطط المقريزية للمقريزي،مصدر سابق،ص122-130.

سبب إثارتهم لها أن علي بن الفضل بعد أن تمكن من التغلب على معظم اليمن تحول تفكيره من الإسماعيلية إلى دعوة تهدف إلى توحيد اليمن والقضاء على الدعوات المذهبية[1].

وبالغوص في عقائد الإسماعيلية التي تحدثت عنها مصادرهم المعتمدة يتضح أنهم يحملون عقيدة خاصة بهم تقوم على فلسفة فارسية زرادشتية ويونانية قديمة وهندية، إضافة إلى الأفكار اللاهوتية اليهودية والنصرانية، وأما تعاليم القرآن عندهم "فليست كلها إلا صورا للحض على طاعة الإمام طاعة تامة، وأن المؤمنون الحقيقيون عندهم هم أولئك الذين يؤولون الوحي الإلهي على هذا النحو؛أما من يأخذ القرآن والسنة على ظاهرهما الحرفي فلا يستحقوا أن يسموا مسلمين، بل هم حمير كافرون" [2].

أما تهمة ادعاء النبوة فلعلها نسبت إلى الإسماعيلية بناء على ما ورد في عقيدتهم المتضمنة لها كتبهم، حيث يضفون على أئمتهم قدسية، ويعتقدوا أنهم معصومون ، بل جعلوهم أفضل من الرسل.

وأما تهمة إسقاط الفرائض الإسلامية فالإسماعيلية عامة نتيجة رؤيتهم الباطنية للنصوص يؤولونها تأويلات عجيبة يخرجونها عن المعروف عنها في الكتاب والسنة ويعدونها رموزا لطاعة الإمام والولاء له.

وفيما يتعلق بتهمة استباحة المحرمات فإن كتبهم تضم إشارات وتقريرات لا تجعل الباحث يلوم من يدمغ الإسماعيلية القرمطية باستباحة المحرمات.

ومن ضمن إشاراتهم وتقريراتهم ومصطلحاتهم(قائم القيامة، أو ليلة الإمام)، و(ليلة الإفاضة)، و(الألفة)و(التشريق)وكلها مصطلحات تعني إباحة كل شيئ، وإن كانوا يحددونها بيوم بعينه.

وعليه فمن المحتمل أن ما نسب إلى ابن الفضل لم يكن محض افتراء وإنه ربما أظهر العقيدة الباطنية التي لم تكن القيادة موافقة على إظهارها في ذلك الوقت على الأقل، لكن يظهر أن القرامطة وعلي بن الفضل منهم استعجلوا الأمر وقرروا كشف الباطن في الوقت الذي كان مفكروا الإسماعيلية يشترطون شروطا صارمة

[1] عبد الله عبد الوهاب الشماحي،**اليمن الإنسان والحضارة**،دار الكلمة:صنعاء،ط 2، 1984،ص109.

[2] دي خويه،القرامطة،139،وهذه الأفكار نقلها من كتاب تأويل الزكاة لجعفر بن منصور اليمن،مخطوط،ليدن،رقم(1)2613،نقلاً عن عبد الرحمن الشجاع،تاريخ اليمن،مرجع سابق،ص163-164.

ينبغي تحققها قبل الوصول إلى هذه المرحلة،وهذا هو ما أحرج الدولة الفاطمية القائمة بالمغرب فسارعت إلى التنديد بهم والتبرؤ منهم وإن أظهرت بعض مبادئهم أيام الحكم الفاطمي في مصر[1].

وأيا ما كان الأمر بالنسبة للتهم التي نسبت لابن الفضل فإن الانشقاق الذي حصل بينه وبين ابن حوشب كان له انعكاس سلبي على الدعوة والتربية الإسماعيلية في اليمن،إذ أدى إلى إضعافها، فاستفاد أهل السنة والزيدية وكل القوى الموجودة في اليمن من الخلاف بين الداعيين فجعلوا منه فرصة سانحة للانقضاض على هذه الدعوة وأتباعها بهدف محوها والقضاء عليها نهائيا بعد أن مات ابن الفضل مسموما سنة303هـ،وكان منصور اليمن قد توفي سنة302هـ وكان لموتهما أثر كبير في إضعاف الدعوة ببلاد اليمن.

وكان أبناء منصور يأملون في بقاء رياسة الدعوة في أيديهم لكن عبيد الله المهدي قضى على هذه الآمال بتوليته عبد الله بن عباس الشاوري مما أثار حنق أبنائه حتى أن أحدهم خلع طاعة المهدي وقام بقتل الشاوري بل وتتبع أتباع الدعوة يقتلهم،وهذه الانشقاقات مثلت فرصة لكل أعداء الإسماعيلية للقضاء على هذه الدعوة وأتباعها في اليمن،ويظهر أن الانشقاقات عند الإسماعيلية باتت أمرا مألوفا،وكانت عملية الملاحقة والتربص بالإسماعيلية قد حملت البقية الباقية منهم على التستر ونشر الدعوة في الخفاء حتى لا يستأصل الأعداء هذه الفرقة،وظلوا كذلك منذ أوائل القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) حتى ظهرت قوتهم من جديد على يد علي بن محمد الصليحي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي بر.

لقد انهار البناء السياسي والدعوي والتربوي الذي بناه ابن الفضل وابن حوشب والإسماعيلية بشكل عام،واتضح أن الأعداء وهم كثر كانوا يتربصون بالإسماعيلية من كل جانب،ويتحينون الفرصة المناسبة للقضاء عليهم،وما إن جاءت الفرصة المناسبة حتى انقضوا عليهم يلاحقونهم في كل مكان يستهدفون استئصالهم،وهذا ما حصل،وإن بقيت طائفة قليلة منهم لجأت إلى الأماكن النائية لحفظ كيانها متبعة الأسلوب السري الذي ألفته قبل ذلك والذي يعد قاعدة أساسية من قواعد وجود هذه الدعوة

[1] عبد الرحمن الشجاع،تاريخ اليمن، مرجع سابق،ص164.
[2] حسن إبراهيم،تاريخ الإسلام، ج4، ص197-198.

واستمرارها ،وظلت الإسماعيلية في وضع صعب حتى قيام الدولة الصليحية ،وبالتالي فإن تأثيرهم الثقافي طيلة هذه الفترة بقي محدوداً جداً وفي أضيق نطاق[1].

لقد عادت الدعوة الإسماعيلية إلى مرحلة السرية (الثانية) ولكن في حال أضعف مما كانت عليه في دور الستر الأول قبل قيام الكيان السياسي ،وفي هذه الفترة تعاقب على رئاسة الدعوة تسعة من الدعاة بعد ابن حوشب وابن الفضل وهؤلاء الدعاة عاشوا في سرية مطلقة ،ويشير أحد الباحثين إلى أن تاريخ هذه الفترة غامض جداً كما يتضح من مجريات الأحوال والوقائع اليمنية ،ويذكر أن أولئك الدعاة قاموا بأعمال دعوية ونشاط تعليمي وتربوي في القطر اليمني في عهد أطلق عليه المؤرخون اسم الشدائد والمحن وفقدان المصادر والأخبار ،ومع ذلك فإنهم كانوا يعملون بصمت وهدوء ،وقد ساعدهم في نجاحهم في مهمتهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ،واتخاذهم الحصون المنيعة والجبال الشاهقة وسيلة للتستر والابتعاد عن الأعداء ومكامن الأخطار ،وظلوا على هذه الحال حتى ظهور الداعي علي بن محمد الصليحي [2].

"وكان الدعاة في الأقاليم يؤدون المهمة التي كان داعي الدعاة يقوم بها في القاهرة من شرح المذهب الشيعي والدعاية للعقائد الإسماعيلية" [3].

أبرز الدعاة الذين حملوا مهمة الدعوة والتربية في اليمن بعد ابن حوشب وابن الفضل:

لقد عادت الدعوة الإسماعيلية بعد موت الداعيين ابن حوشب وابن الفضل إلى السرية من جديد ،وعلى الرغم مما تعرضت له الحركة وأتباعها من ضربات قاصمة في هذه الفترة من كل أعدائها المتربصين والمنتظرين لهذه الفرصة للنيل منها والقضاء عليها نهائيا ،إلا أن أتباعها ظلوا يعملون طوال هذه الفترة على نشر مذهبهم وأفكارهم في سرية تامة بقيادة عدد من الدعاة قتل بعضهم وطورد بعضهم الآخر ،ومع ذلك لم تنته حركتهم لعوامل عدة منها:

---

[1] محمد الدجيلي،الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري،مرجع سابق، ص28-29.

[2] عارف ثامر، **تاريخ الإسماعيلية،(الدولة الفاطمية الكبيرة)**،رياض الريس للكتب والنشر ،لندن وقبرص،ط 1، 1991م، ج3،ص147.

[3] أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي،مرجع سابق،ص418.

أولا :لجوئها إلى المناطق الجبلية الوعرة والبعيدة واتخاذ هذه المناطق الجبلية وسيلة للابتعاد عن الأعداء وفرصة لنشر المبادئ في تلك البيئة المناسبة،وهذا ما فعلته كل فرق الشيعة حتى قيل:إن جبال اليمن كانت على مذهب الشيعة،وسائر اليمن على مذاهب السنة.

ثانيا :عداء القوى المختلفة في اليمن للإسماعيلية ورغبتهم في التخلص منهم جعل من بقي من الإسماعيليين يبالغون في التخفي والتستر عملا بمبدأ التقية الذي يجيز للمرء أن يظهر خلاف ما يؤمن به ليحفظ نفسه وماله،فكانوا سنيين مع السنة شيعيين مع الشيعة،يعاشرون أهل الظاهر من أصحاب المذاهب الأخرى بالعبادة العملية المتمثلة في الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج،وهذا الأمر ساعدهم على البقاء في مرحلة الستر هذه إلى أن سمحت لهم الظروف بأن يظهروا إلى العلن من جديد[1].

ثالثا :طبيعة الحركة الإسماعيلية نفسها في التكتم الشديد ليس مع أعدائها فحسب بل مع قسم كبير من أتباعها الذين لم يطلعوا على أسرارها الداخلية سيما وهم أول من استعمل الرموز السرية في كتبهم ورسائلهم التي كانوا يرسلونها عن طريق الحمام الزاجل الذي برع دعاتهم في استخدامه لتغطية الأسرار المحظور كشفها خوفا من الأضداد.

رابعا:"اتصال هؤلاء الدعاة باستمرار بالخلفاء الفاطميين بالمغرب ثم مصر يرسلون إليهم هدايا وأموال أتباعهم،ويطبقون مبادئ الدعوة فيما بينهم" [2].

أما أبرز الدعاة في مرحلة الستر هذه فهم:

1 -عبد الله بن عباس الشاوري .

2 -يوسف بن موسى بن أبي الطفيل.

لم يذكر الوجيه اسم الداعي عبد الله الشاوري ضمن الدعاة في هذه المرحلة في حين اعتبره غيره الداعي الأول فيها،وأما هو فذكر أن الداعي يوسف بن موسى بن أبي الطفيل كان "أول دعاة هذه الحقبة،وقد

[1] محمد الوجيه،مرجع سابق،ص121-122.
[2] المرجع السابق،ص122.

استطاع تجميع من بقي من أنصار الإسماعيلية في جبل مسور في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله،لكن إبراهيم السباعي الذي كان يتتبع أنصار الإسماعيلية بالقتل والتشريد ما إن سمع بابن الطفيل وتزعمه لإسماعيلية اليمن حتى خرج إليه وقتله،فتفرق من بقي من أصحابه،وقصدت جماعة منهم نواحي عمان"□.

3 -جعفر بن أحمد بن عباس.

4 -عبد الله بن محمد بن بشر، من وادي قطابة من قدم.

5 -محمد بن أحمد بن عباس الشاوري، من قدم.

6 -هارون بن محمد بن رحيم، من قدم.

7 -يوسف بن أحمد بن الأشج، من أهل شبام حمير.

8 -سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي، من حمير من ضلع شبام وكان مقامه في حصن كوكبان.

وقد "أقام الزواحي الدعوة للحاكم بأمر الله والظاهر وأوائل أيام المستنصر الفاطمي،واستطاع بجهوده أن يمهد لقيام الإسماعيلية مرة ثانية في اليمن لتنعم بمرحلة الجهر للمرة الثانية وتقام دولتها،عندما استطاع أن يكسب إلى مذهبه شخصية قوية من قبيلة مرهوبة الجانب،ذلك هو علي بن محمد الصليحي من قبيلة همدان" بر.

[1]المرجع نفسه،ص123.

[2]محمد الوجيه،المرجع السابق،ص132،وانظر:حسين الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، مرجع سابق، ص50-58، وعارف ثامر تاريخ الإسماعيلية،مرجع سابق، ج3، ص147-148.مع اختلاف يسير بين المرجعين فالهمداني ذكر محمد بن أحمد بن العباس الشاوري بعد عبد الله بن محمد بن بشر في حين أسقطه ثامر نهائياً.

نتائج البحث: في ختام هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1 -العامل السياسي المضطرب والممزق تم استغلاله الاستغلال الأمثل من قبل الدعاة الإسماعيليين في إقامة كيانهم السياسي الأول .

2 -العامل الجغرافي من العوامل التي جعلت اليمن موضع اهتمام حيث تم اختيارها لتكون مقرا للدعوة والدولة.

3 -التشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه في اليمن أكثر من غيرها كان له مساهمة في اختيار اليمن من قبل الإسماعيلية لنشر أفكارها.

4 -انتشار الأمية الدينية والأبجدية في مناطق كثيرة في اليمن خاصة المناطق البعيدة والنائية ساهم مساهمة كبيرة في انتشار الإسماعيلية في اليمن.

5 -اعتماد الإسماعيلية على نظام فكري وتنظيمي قائم على تخطيط دقيق ومحكم في كل ماله صلة بالدعوة ساهم في نجاحهم في نشر أفكارهم وتمكنهم من إقناع العديد من اليمنيين باعتناق دعوتهم.

6 -غياب الأمن الفكري في المجتمع اليمني في تلك الفترة هو الذي أتاح الفرصة لفكر الدعوة الإسماعيلية أن ينتشر وأن يكون له رواج وقبول –خاصة في المناطق البعيدة والنائية جدا.

7 -مقام الإمام عند الشيعة عامة وعند الإمامية خاصة مقام رفيع جدا،فهم يعتقدون في أئمتهم العصمة،ويؤمنون بأن عندهم علم بالشريعة فوق مدارك الناس،وأنه لا بد من وجود الإمام،ولا يلزم أن يكون ظاهرا معروفا،بل يصح أن يكون مختفيا مستورا،وفي الحالين هو واجب الطاعة،وهو المهدي الذي يهدي الناس،وليس مسئولا أمام أحد من الناس،وليس لأحد من الناس أن يخطئه مهما يأت من أفعال،وأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته.

8 -الإمامة عندهم أصل من أصول الدين،بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام،وهي واجبة بالتعيين والتنصيص وليس بالاختيار،وهي وراثة إلى قيام الساعة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي ذريته من فاطمة رضي الله عنها.

9 -الإمامة عند الشيعة عموما هي المرتكز في عقيدتهم،ومنها يتفرع كل ما هو مثار للجدل والنقاش مع الفرق الإسلامية الأخرى،وقد رافق مبدأ الإمامة أربع مسائل نشأت نتيجة له وتلازمت معه،وهي:عصمة الأئمة،والمهدية،والرجعة،والتقية.

10 -في هذه المرحلة السرية وهي مرحلة التهيئة والتربية والبناء والإعداد المادي والبشري، اتبعت الإسماعيلية الخطوات والأساليب الآتية:

أ - الاستقطاب أو(جذب الأنفس).

ب - قيام الدعاة بتطبيق المنهج الدعوي والتربوي المحدد سلفا على المستجيبين في هذه المرحلة.

11 -كانت هذه المرحلة مرحلة إعداد للدعاة قبل أن تكون مرحلة استقطاب للمدعوين، مما تطلب الكثير من التأني والصبر في إعداد الدعاة أولا، ثم في التهيئة للدعوة واستقطاب الأتباع المؤيدين المؤمنين بالدعوة لأجل الوصول إلى الهدف.

12 -اتسمت هذه المرحلة بالسرية الشديدة أكثر من غيرها -مع أن التكتم والاستتار مبدأ أساس من مبادئ الإسماعيلية.

13 -إتباع أساليب متنوعة لتنفيذ وإنجاح الخطط المرسومة.

14 -في المرحلة الثانية وهي مرحلة إعلان الكيان السياسي، تم الانتقال من العمل الدعوي السري إلى العمل السياسي والدعوي في العلن.

15 -لم يكن نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن أمرا سهلا ميسورا، بل كان صعبا ومحفوفا بالمخاطر، ولذلك لم تتمكن الإسماعيلية من نشر مذهبها أو فكرها علنا في اليمن إلا في مناطق محدودة ونائية.

16 -كانت الشروط الأساسية في المدعو(المستجيب)متمثلة في الإيمان بالمبادئ والمعتقدات الإسماعيلية ،والطاعة الكاملة والانقياد التام للداعي ،والتسليم الكامل لكل ما يقوله الإمام أو من يقوم مقامه من الدعاة.

17 -بتوفر تلك الشروط في المستجيب يؤخذ منه العهود والمواثيق بالإخلاص للدعوة وعدم إفشاء أسرارها مهما كانت الأسباب.

18 -من الأسباب الخلاف الذي حدث بين الداعيين الإسماعيليين علي بن الفضل ومنصور بن حوشب.

19 - إظهار ابن الفضل للباطن(القرمطة)وتزامن إظهاره لذلك مع ما كان يدور وسط قيادة الحركة الإسماعيلية من خلاف حول إمكانية إظهار الباطن أو الاستمرار فيما هم عليه.

20 -خلصت الدراسة إلى أن الإسماعيلية يحملون عقيدة خاصة بهم تقوم على فلسفة فارسية زرادشتية ويونانية قديمة وهندية إضافة إلى أفكار لاهوتية يهودية ونصرانية ،وهم يثبتون ذلك في مؤلفاتهم.

التوصيات:

1 -يوصي الباحث المؤسسات المعنية بالتعليم بضرورة الإهتمام بالأمن الفكري للمتعلمين بتضمين مناهج التعليم في مراحل التعليم المختلفة وخاصة منها التعليم الثانوي والجامعي الموضوعات التي تحصنهم من الانحرافات الفكرية أو الدعوات التي تتبنى العنف في إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية ،وفي عدائها واستهدافها لغير المسلمين المتواجدين في بلاد المسلمين ولو لم يكونوا من المقاتلين الذين يحملون السلاح ضد المسلمين،وبيان الموضوعات الفكرية التي تستهدف الشباب المسلم حتى يكون على بينة من أمره.

2 -يوصي الباحث المؤسسات الثقافية والإعلامية والإرشادية ومنظمات المجتمع المدني المعنية بالتوعية الدينية والاجتماعية والمعنية بنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة بضرورة مضاعفة الجهود في نشر الإسلام الصحيح وبذل الوسع في إبلاغ رسالة الإسلام في الداخل والخارج،والاستفادة من الآخرين في تجنيد الطاقات وتسخير القدرات وبذل الأموال والأنفس في سبيل نشر مبادئهم ومعتقداتهم.

3 -يوصي الباحث المؤسسات التربوية والتعليمية في البلاد الإسلامية بضرورة إدخال أساليب وطرق ووسائل حديثة ومتجددة والاستفادة من كل وسائل الاتصال الحديثة والمتطورة في تعليم المتعلمين التربية الإسلامية وفي نشر الدعوة الإسلامية وتعليم الناس مبادئ وأحكام الدين الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أحمد شلبي،التربية والتعليم في الفكر الإسلامي جوانب التاريخ والنظم والفلسفة،مكتبة النهضة:القاهرة،ط 8، 1987م.

أحمد بن علي بن حزم،المحلى،تحقيق أحمد محمد شاكر، المجلد الأول،مكتبة دار التراث:القاهرة،الطبعة الشرعية الوحيدة،1426هـ2005م،.

أحمد بن علي القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء العاشر،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،المؤسسة المصرية العامة:القاهرة،دون طبعة،دون تاريخ.

بوبة مجاني،دراسات إسماعيلية،مطبوعات جامعة منتوري:قسنطينة،الجزائر،2002.2003م.

تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني، تحقيق:د.محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي:القاهرة، ط 1، 1998م.

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الثالث، دار إحياء التراث العربي، دون بلد نشر، ط 7، 1965م.

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الرابع، دار إحياء التراث العربي، دون بلد نشر، ط 1، 1967م.

حسن صادق، جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات، مكتبة مدبولي:القاهرة، 1411هـ/1991م.

حسين فيض الله الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية:صنعاء، دون طبعة، 2004م.

سهيل زكار، الجامع في أخبار القرامطة في الأحساء -الشام -العراق -اليمن، دراسة وتحقيق لما جاء في مصنفات ثابت بن سنان بن قرة وغيره، دار حسان للطباعة والنشر، بدون بلد نشر، ط 3، 1407هـ /1987م.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف:القاهرة، ط4، دون تاريخ.

شهاب الدين أبو فراس، مطالع الشموس في معرفة النفوس، الرسالة الأولى ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تقديم وتحقيق:عارف ثامر، دار ومكتبة الحياة، بيروت، ط2، دون تاريخ.

صلاح الدين المنجد، المجتمع الإسلامي، دار الكتاب الجديد:دون بلد نشر، ط 1، 1969م.

الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، المجلد الأول، تحقيق عبد الغني الأهجري، وزارة الثقافة والسياحة:صنعاء، 1425هـ/2004م.

عادل سالم العبد الجادر، الإسماعيليون الدعوة والدولة في اليمن، دون دار نشر، الكويت، ط 1، 2000م.

عارف ثامر، تاريخ الإسماعيلية، الجزء الأول(الدعوة والعقيدة)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن وقبرص، ط 1، 1991م.

عارف ثامر، تاريخ الإسماعيلية، الجزء الثاني(من المغرب إلى المشرق)رياض الريس للكتب والنشر:لندن وقبرص، ط1 ، 19991م

عارف ثامر، تاريخ الإسماعيلية ، الجزء الثالث(الدولة الفاطمية الكبيرة)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن وقبرص، ط 1 ، 1991م.

عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفكر المعاصر:صنعاء، ط 3، 1999م.

عبد الكريم بكار، وجهتي في الحياة((رؤى وأفكار ومنهجيات آمنت بها))، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة:المملكة العربية السعودية، ط 1، 1428/2007م.

عبد الله عبد الوهاب الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، دار الكلمة:صنعاء، ط 2، 1984.

علي بن الوليد(الداعي الفاطمي)(ت/612هـ)كتاب الذخيرة في الحقيقة، تحقيق:محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة:بيروت، دون طبعة، 1971م.

علي بن الوليد(الداعي المطلق)دامغ الباطل وحتف المناضل، تقديم وتحقيق:د.مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين:بيروت، المجلد الأول، دون طبعة، دون تاريخ.

عمر بن علي بن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق:فؤاد سيد، دار الكتب العلمية:بيروت، ط 2، 1401هـ/1981م.

محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي:القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي:مصر، دون طبعة، دون تاريخ.

محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، دار التعارف للمطبوعات:بيروت، ط 4، 1399هـ/1979م.

محمد رضا حسن الدجيلي، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي لجامعة البصرة شعبة دراسات العلوم الاجتماعية، دون طبعة، 1405هـ/1985م.

محمد قايد حسن الوجيه، الحركة الإسماعيلية في اليمن 268 -570هـ/883 -1174م، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنصورة، جمهورية مصر العربية، 1423هـ/2002م

محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، حققه وعلق حواشيه:محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني:صنعاء، ط 1، 1415هـ/1994م.

محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج4، المكتب الإسلامي:دمشق وبيروت، ط2 ، 1399هـ/1979م.

محمود شاكر، التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، المجلد الخامس ، الجزء الأول والجزء الثاني، المكتب الإسلامي، دون بلد نشر، ط 5، 1411هـ/1991م.

مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للطباعة والنشر:بيروت، ط 2، 1965م.

موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، الصراع بين الشيعة والتشيع، دون دار نشر، دون بلد نشر، دون طبعة، 1408هـ/1988م.

النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي قاضي قضاة الدولة الفاطمية(ت/363هـ)رسالة افتتاح الدعوة رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية، تحقيق:وداد القاضي، دار الثقافة:بيروت، ط 1، 1970م.

يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق وتقديم:د.سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة د.محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي:القاهرة، دون طبعة، 1388هـ/1968م.

يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري(90 /450هـ)الجزء الأول والثاني، معهد البحوث العلمية:مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، دون طبعة، 1421هـ/2000م.